

صِفْوَةُ النَّفَائِسِ

# حقوق الطبعة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع

٨٣٣٧ / ٢٠١٣

الترقيم الدولي

7 - 22 - 6354 - 977 - 978

ISBN 978-977-6354-22-7



9 789776 354227 >

دار العالمين للنشر والتجليد

جاكرتا - أندونيسيا

هاتف: 087889324793 - 081310218626

087880176606 - 085218824802

email: [darul\\_aalamiyyah@yahoo.com](mailto:darul_aalamiyyah@yahoo.com)

[abdallaelnady@gmail.com](mailto:abdallaelnady@gmail.com)

# صِفْوَةُ التَّفَاسِيرِ

تفسير للقرآن الكريم ، جامع بين المأثور والمعقول  
مستمدة من أوثق الكتب التفسيرية  
بأسلوب مبسّر، وتنظيم حديث، مع العناية بالوضوح البَيَانِيَّة واللُّغَوِيَّة

نسخة محققة ومخرجة الأحاديث

تأليف

محمد علي الصابوني

الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
مكة المكرمة - جامعة الملك عبدالعزيز

المجلد الأول





## مقدمة المحقق

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ص، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

إن القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله على قلب نبيه محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً، وهو هدى ونور وشفاء لما في الصدور، وقد كان على الرسول ﷺ بيانه للناس، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

والقرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي. والأمة الإسلامية هي أمة القرآن، إليه يُرَدُّ أصلها، وبه يُعرف نسبها، ومنه نُسجت وتنسج ما ليست وتلبس من حلل العزة والكرامة والسيادة. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]. وعلى قدر ما يقترب المسلمون من كتابهم الكريم، وبقدر ما يرعون حقه، ويؤدون أمانته، يكون نصيبهم من الخير، ويكون حظهم من السلامة في أنفسهم، وأموالهم، وأوطانهم! والعكس صحيح. فإنه على قدر ما يبعد المسلمون عن كتابهم، وبقدر ما يفرطون في حقه، بقدر ما يكون بُعْدُهُم عن الخير، ودُنُوُّهُم من الخطر، وتعرّضهم لآفات التفكك والانحلال! وتفسير القرآن أشرف علوم الدين، وقد حاول الشيخ محمد علي الصابوني بتأليفه لكتاب «صفوة التفاسير» أن يقدم للأمة الإسلامية تفسيراً موجزاً يجمع عيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان.

وقد قُمتُ بتَحْقِيقِهِ وَضَبْطُ نَصِّهِ، وَتَخْرِيجِ أَحَادِيثِهِ وَالتَّعْلِيلِ عَلَيْهِ، عَلَى نَحْوِ يُسِّرِ الانْتِفَاعِ بِهِ، وَيُحَقِّقُ رَغْبَةَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي تَصْحِيحِهِ وَالتَّعْلِيلِ عَلَيْهِ. وأرجو أن يكون هذا التحقيق خدمةً لكتاب انتشر في الآفاق تنبيهاً على ما فيه من انتقادات نبّه عليها بعض أهل العلم، وقد ذكر مؤلفه في مواضع من تفسيره ما يؤيد صحّتها.

### عمل المحقق:

- ١- مراجعة الأحاديث المذكورة في الكتاب من مصادرها في كتب السنة، وتشكيل الأحاديث الصحيحة الموجودة بالكتاب، وبعض الأحاديث الضعيفة، وشرح غريبها.
- ٢- بيان درجة أحاديث الكتاب صِحَّةً وضعفًا من كتب الشيخ الألباني وغيره. وأحيانًا أنقل عن المحدثين والعلماء والمحققين أكثر من حكم على حديث واحد، فأحكامهم قد تختلف حسب اجتهاداتهم.
- ٣- التعليق على الأخطاء التي استدرکها العلماء على الكتاب، خاصةً فيما يتعلق بما في الكتاب من أخطاء في العقيدة في مسألة الأسماء والصفات والتي وافق فيها المؤلف تأويلات الأشاعرة، وفي هذه التعليقات انتصار للشيخ الصابوني نفسه؛ فقد ذكر في كتابه «كشف الافتراءات في رسالة التنبیهاة حول صفوة التفاسیر» (ص / ١٦٧) أنه لا يتبنى مذهب الأشاعرة، وأقر بأنهم مُخطئون في التأويل.
- وقد استفدت في تلك التعليقات كثيرًا من كتاب «تعقيبات وملاحظات على كتاب صفوة التفاسیر»، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، واستفدت كذلك من كتاب الشيخ محمد بن جميل زينو «تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسیر ومخالفات هامة في مختصر تفسير ابن جرير الطبري».
- ٤- محاولة بيان درجة أسباب النزول الواردة في الكتاب، وذلك بالاستفادة من كتاب «الصحيح المسند من أسباب النزول» للشيخ مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الْوَادِعِيِّ، و«الاستيعاب في بيان الأسباب»، أول موسوعة علمية حديثة محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم» لسليم بن عید الهاللي ومحمد بن موسى آل نصر، وكتاب «أسباب نزول القرآن» للواحدي بتحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، ونسخة أخرى بتحقيق كمال بسيوني زغلول.
- وإذا كان سبب النزول المذكور في الكتاب ضعيفًا ووجدت سببًا آخر صحيحًا أذكره في الهامش.
- وما لا أجده في تلك الكتب أبحث عنه في التفاسیر، وغالبًا ما يكون فيها بدون إسناد أصلاً، وأنبه على ذلك في الهامش.
- ٥- الآيات أو الكلمات التي لم يفسرها المؤلف أنقل في الهامش تفسيرًا ميسرًا لها من تفسير السعدي أو ابن كثير أو غيرهما.
- ٦- التعليق على تفسير الآيات في أحوال نادرة جدًا بنقل كلام الإمام ابن جرير الطبري أو الحافظ ابن كثير أو الشيخ السعدي، أو غيرهم، وذلك لتوضيح كلام المؤلف أو بيان أن الصواب أو المشهور في التفسير غير ما ذكره، أو لغير ذلك.

٧- محاولة تصويب الأخطاء المطبعية الموجودة بالكتاب وذلك بالرجوع أحياناً إلى المصادر التي ينقل منها المؤلف، ومحاولة وضع الهوامش في مكانها الصحيح إن كانت في غيره. ولا يُشار إلى ما تم تصويبه إلا نادراً حتى لا يُثقل الكتاب بالهوامش.

٨- تشكيل الشواهد الشعرية، وشرح غريبها.

٩- شرح غريب الألفاظ الواردة في الكتاب، بالرجوع إلى كتب التفسير وشروح الحديث ومعاجم اللغة، وأحياناً أوضح كلام المؤلف بنقل كلامه في مواضع أخرى من الكتاب.

١٠- تشكيل الكلمات التي قد يُساء فهمها.

١١- التعليقات الموجودة في التحقيق أنقلها من كتب أهل العلم وقد أختصرها أو أتصرف فيها بما ييسر على القارئ فهمها.

١٢- الروايات التاريخية في قصص الأنبياء يذكرها المؤلف بدون إسناد ومعظمها إسرائيليّات، أو أقوال مرسلة، وغالباً ما ينسبها لأحد المفسرين أو يذكرها بعد قوله: «قال المفسرون...»، وهذه لا يتم التعليق عليها إلا إذا غلب على الظن أنه قد يُفهم منها معارضة الكتاب والسنة الصحيحة.

١٣- وكذلك بعض أحداث السيرة يذكرها المؤلف بدون إسناد أو بعد قوله: «قال المفسرون...»، وقد لا أجدها بإسناد ثابت فلا أعلق عليها.

١٤- تجد تعليقات المحقق في الهامش، متميزة عن هوامش الكتاب الأصلية بالرمز (ش)، وإذا كانت هناك حاجة لذكر التعليق في أكثر من موضع فأعيد ذكره فيها ولا أكتفي بالإحالة على ما سبق؛ تيسيراً على القارئ.

١٥- تيسيراً للانتفاع بالكتاب وضعت بين يديه بعض المقدمات:

أ- الدكتور محمد علي الصابوني، بطاقة حياة.

ب- «صفوة التفاسير» في الميزان، ما له وما عليه.

ج- مصادر الشيخ الصابوني في «صفوة التفاسير».

د- اعتقاد الأئمة الأربعة.

هـ- قواعد في الأسماء والصفات.

و- أسباب النزول، قواعد وأصول.

ز- مناهج المفسرين.

ح- مصطلحات بلاغية.

وأرجو من الله ﷻ أن يكون هذا التحقيق تحقيقاً لرغبة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري حيث نصح الشيخ محمد بن جميل زينو بمواصلة البحث والتصويب والتصحيح وتبّع

«صفوة التفاسير» من ألفه إلى يائه - أي من أوله إلى آخره - معللاً ذلك بأنه هو المفروض لمن أراد أن يصحح الأخطاء ويبيِّن العيب ليُجَنَّب، ونَصَحَه بكتابة ذلك على هامش التفسير، ورأى أن تتحمل دار الإفتاء تكاليف الطباعة ومصاريفها<sup>(١)</sup>.

وفي الختام أتمنى من كل من وجد بهذا التحقيق خطأ أن لا ييخل به، إذاراً إلى الله ونُصْحاً للعبد الفقير. ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمُنِصِف من اغتفرَ قليل خطأ المرء في كثير صوابه. وقديماً قيل: «المتصفح للكتاب أبصرُ بمواقع الخلل فيه من مُنشئه».

بل إن من يكتب الشيء اليوم قد يتراجع عنه غداً، فيتدارك بنفسه بعض أخطائه، قال الثعالبي: «لا يكتب أحد كتاباً، فيبيت عنده ليلة، إلا أَحَبَّ في غيرها، أن يزيد فيه أو ينقص منه». وقال العماد الأصبهاني: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل؛ وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

والله العظيم أسأل أن ينفع المسلمين بهذه الورقات وأن يرزقنا الإخلاص في السر والعلن، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه - سيدنا محمد - وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ أَنْتَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

شحاتة محمد صقر

(١) تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير، ص ٣٧-٣٨، للشيخ محمد بن جميل زينو. وقد كتب الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ تعليقات على كتاب «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني مُنبِّهاً على ما فيه من أخطاء، وقد طبعت هذه التعليقات مع الكتاب.



## بين يدي « صفوة التفاسير »

### ١- الدكتور محمد علي الصابوني، بطاقة حياة<sup>(١)</sup> :

ولد الشيخ محمد علي الصابوني بمدينة حلب الشهباء<sup>(٢)</sup> بسوريا في ١ يناير، عام ١٩٣٠م، من أسرهِ عريقة، وكان والده الشيخ جميل الصَّابوني من كبار علماء حلب، وتلقَّى تعليمه على يد والده وغيره من العلماء فقام بدراسة العربية والفرائض وعلوم الدين، كما حفظ القرآن الكريم في الكُتَّاب وأكمل حفظه وهو في المرحلة الثانوية، هذا بالإضافة لدراسته للعديد من العلوم التي تلقاها على يد كبار العلماء بسوريا، والتي كانت تشتهر بعلمائها الكبار، فدرس الصابوني على يد كل من الشيخ محمد نجيب سراج، والشيخ أحمد الشماخ، الشيخ محمد سعيد الإدليبي، والشيخ راغب الطباخ والشيخ محمد نجيب خياطة وغيرهم الكثير من العلماء والشيخوخ.

### التعليم:

لما حصل على الشهادة الابتدائية انتسب إلى إعدادية وثانوية التجارة فدرس فيها سنة واحدة، ولما لم توافق ميوله العلمية لأنهم كانوا يعلمون فيها الطلاب أصول المعاملات الربويَّة التي تجري في البنوك هجر الإعدادية التجارية مع أن ترتيبه فيها كان الأول على زملائه، وانتقل إلى الثانوية الشرعية التي كانت تسمى (الخسروية) في مدينة حلب وفيها نال الإعدادية والثانوية، وكانت دراسته فيها مزدوجة تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية التي كانت تدرس في وزارة المعارف، فقد كانت المواد الشرعية كلها من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والفرائض، وسائر العلوم الشرعية إلى جانب الكيمياء والفيزياء والجبر والهندسة والتاريخ والجغرافيا واللغة الإنجليزية، فكانت دراسته جامعة بين الدراسة الشرعية والدراسة العصرية، وقد تخرج من الثانوية الشرعية عام ١٩٤٩.

وبعد أن أتم الصابوني دراسته الثانوية الشرعية بنجاح قامت وزارة الأوقاف السورية بإرساله في بعثة إلى الأزهر الشريف بالقاهرة بمصر، وذلك حتى يُتم دراسته الجامعية هناك وبالفعل تمكن الصابوني من أن يحصل على شهادة كلية الشريعة عام ١٩٥٢م، ثم أتم دراسة التخصص وتخرج عام ١٩٥٤ من الأزهر حاملاً شهادة العالمية في تخصص القضاء الشرعي، وكانت هذه الشهادة من أعلى الشهادات في ذلك العصر فتعادل الدكتوراه في درجتها العلمية.

(١) انظر في ذلك: صفحة الشيخ محمد علي الصابوني على الفيس بوك.

(٢) موقع المكتبة الشاملة. محمد علي الصابوني، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. <https://www.facebook.com/m.a.alsabouni> ترجمة الدكتور محمد علي الصابوني على

موقع المكتبة الشاملة. محمد علي الصابوني، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٢) الشَّهْبَاءُ: لقبُ مدينة حلب، سُمِّيَتْ بذلك لبياض حجارتها.

### الحياة العلمية:

بعد أن حصل الصابوني على درجة العالمية بتفوق من الأزهر الشريف عاد مرة أخرى إلى سوريا وبالتحديد إلى مدينته حلب حيث تم تعيينه أستاذاً لمادة الثقافة الإسلامية في ثانويات حلب ودور المعلمين، وظل يعمل في التدريس في الفترة ما بين ١٩٥٥ - ١٩٦٢ م. ثم بعد ذلك انتدابه إلى المملكة العربية السعودية لكي يعمل أستاذاً معاراً من قبل وزارة التربية والتعليم السورية وذلك للتدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وكلية التربية بالجامعة بمكة المكرمة، وكان على رأس البعثة السورية إلى المملكة آنذاك، فقام بالتدريس فيها لمدة طويلة اقتربت من الثلاثين عاماً، وتخرج على يديه الكثير من أساتذة الجامعة في هذه الفترة الطويلة.

ونظراً لنشاطه العلمي في البحث والتأليف فقد رأت جامعة أم القرى أن تسند إليه تحقيق بعض كتب التراث الإسلامي فعين باحثاً علمياً في مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، فاشتغل في تحقيق كتاب مهم في التفسير يسمى (معاني القرآن) للإمام أبي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ، والمخطوطة نسخة وحيدة في العالم لا يوجد لها ثان، فقام بتحقيقها على الوجه الأكمل، بالاستعانة بالمراجع الكثيرة بين يديه من كتب التفسير واللغة والحديث وغيرها من الكتب التي اعتمد عليها، وقد خرج الكتاب في ستة أجزاء، وطبع باسم جامعة أم القرى بمكة المكرمة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. بعد ذلك انتقل الشيخ للعمل في رابطة العالم الإسلامي كمستشار في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وبقي فيها عدة سنوات قبل أن يتفرغ للتأليف والبحث العلمي.

### المؤلفات:

للشيخ مؤلفات عديدة في العلوم الشرعية والعربية، ألفها في مشواره العلمي الطويل فكانت من بين أهم الكتب في مجالاتها ولاقت قبولاً وانتشاراً واسعاً بين طلاب العلم في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وترجم العديد منها إلى لغات مختلفة كالتركية والإنجليزية والفرنسية والملاوية والهوساوية وغيرها من لغات العالم الإسلامي. وقد ألف بعضها أثناء تدريسه في الجامعة، والبعض الآخر بعد انتهائه من التدريس، وتفرغه للتأليف، ومن هذه المؤلفات ما يلي:

١. صفوة التفاسير.
٢. المواريث في الشريعة الإسلامية.
٣. من كنوز السنة.
٤. روائع البيان في تفسير آيات الأحكام.

٥. قيس من نور القرآن الكريم.
٦. السنة النبوية قسم من الوحي الإلهي المنزل.
٧. موسوعة الفقه الشرعي الميسر (سلسلة التفقه في الدين)
٨. الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة.
٩. التفسير الواضح الميسر.
١٠. الهدى النبوي الصحيح في صلاة التراويح.
١١. إيجاز البيان في سور القرآن .
١٢. موقف الشريعة الغراء من نكاح المتعة.
١٣. حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن.
١٤. التبيان في علوم القرآن.
١٥. عقيدة أهل السنة في ميزان الشرع.
١٦. النبوة والأنبياء.
١٧. رسالة الصلاة.
١٨. المهدي وأشراف الساعة.
١٩. المقتطف من عيون الشعر.
٢٠. كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير.
٢١. درة التفاسير (على هامش المصحف).
٢٢. جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية.
٢٣. التبصير بما في رسائل بكر أبو زيد من التزوير.
٢٤. شرح رياض الصالحين.
٢٥. شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول.
٢٦. رسالة في حكم التصوير.
٢٧. معاني القرآن ( للنحاس).
٢٨. المقتطف من عيون التفاسير ( للمنصوري).
٢٩. مختصر تفسير ابن كثير.
٣٠. مختصر تفسير الطبري.
٣١. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ( للبروسوي).
٣٢. المنتقى المختار من كتاب الأذكار ( للنووي).
٣٣. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ( للأنصاري).

٣٤. الشرح الميسر لصحيح البخاري .
٣٥. الإبداع البياني في القرآن الكريم .
٣٦. صفحات مُشرقة من حياة الرسول ﷺ وصحابته الكرام .
٣٧. نكاح المتعة في الإسلام حرام .
٣٨. آمنت بالله ( الأدلة العقلية والنقلية على صفاء عقيدة التوحيد).
٣٩. الجهاد في الإسلام والخطأ الدارج في مفهومه .
٤٠. الشرح الميسر لصحيح الإمام مسلم ( تحت الطبع).
٤١. الشرح الميسر لصحيح الإمام الترمذي ( تحت الطبع).
٤٢. الشرح الميسر لصحيح الإمام أبي داود ( تحت التأليف).
٤٣. تفسير الدعوات المباركات في القرآن الكريم .

#### الدروس:

بالإضافة للمؤلفات والرحلة العملية والعلمية للشيخ الصابوني فقد كانت له العديد من الإسهامات العلمية الأخرى فكان له درس يومي بالمسجد الحرام بمكة المكرمة يقعد فيه للإفتاء في المواسم، ودرس آخر أسبوعي بأحد مساجد مدينة جدة يقوم فيه بتفسير آيات القرآن الكريم، وامتد لفترة ما يقارب الثماني سنوات فسر خلالها لطلاب العلم أكثر من ثلثي القرآن الكريم، وهي مسجلة على أشرطة كاسيت، كما قام الشيخ بتصوير أكثر من ستمائة حلقة لبرنامج تفسير القرآن الكريم كاملاً ليعرض في التلفاز، وقد استغرق هذا العمل زهاء السنتين، وقد أتمه نهاية عام ١٤١٩ هـ.

#### جوائز وتكريم:

تقديراً لجهوده في المجال العلمي والإسلامي فقد تم اختياره في رمضان ١٤٢٨ هـ من قبل جائزة دبي للقرآن ليكون «الشخصية الإسلامية» للدورة الحادية عشر، وتمنح هذه الجائزة للشخصيات الإسلامية المتميزة، وقد صدر عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم كتيب تعريف بالشيخ الصابوني ذكر فيه نبذة عن حياته ومؤلفاته.

#### التلاميذ:

أثناء فترة عمله الأكاديمي تخرج على يديه العديد من علماء الإسلام المتميزين، بالإضافة للمستفيدين من كتبه.

#### ردود أهل العلم على كتبه:

لبعض أهل العلم ملاحظات على ما كتبه الشيخ الصابوني، لا سيما كتبه في التفسير، وكلُّ يؤخذ من كلامه ويُترك إلا المعصوم ﷺ. قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: «ما منَّا إلا رادُّ ومردودٌ عليه

إلا صاحب هذا القبر»، (يعني: النبي ﷺ).

### ومن تلك الردود:

١- تنبيهات هامة على ما كتبه الشيخ علي الصابوني في صفات الله عزَّ وجلَّ، تأليف الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . وهي موجودة ضمن «مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز» (٣ / ٥١ - ٨٢).

٢- ملاحظات على صفوة التفاسير، تأليف الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين.

٣- تعقيبات وملاحظات على كتاب صفوة التفاسير، تأليف الشيخ صالح الفوزان.

٤- التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير، تأليف الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد.

٥- مخالفات هامة في مختصر تفسير ابن جرير الطبري للشيخ محمد علي الصابوني،

تأليف الشيخ محمد بن جميل زينو.

٦- تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير، تأليف الشيخ محمد بن جميل زينو.

٧- ملاحظات على مختصر تفسير ابن جرير الطبري، تأليف الشيخ إسماعيل الأنصاري.

٨- في مقدمة الجزء الرابع من «السلسلة الصحيحة» للألباني تعقيبات على «مختصر

تفسير ابن كثير». وفي مواضع من الجزئين الثالث والرابع من «السلسلة الضعيفة» للألباني.

٩- ملاحظات على «كتاب صفوة التفسير»: تأليف الدكتور سعد ظلام، عميد كلية اللغة

العربية بمصر: (ص / ١٠٣، ١٠٩) من مجلة منار الإسلام في العدد الرابع من السنة العاشرة،

ونشر بعضها في مجلة التوحيد المصرية في العدد السادس عام ١٤٠٨ هـ لشهر رجب .

١٠- كتاب الشيخ عثمان بن عبد القادر الصافي الطرابلسي، وعنوانه: الأخطار على

المراجع العلمية لأئمة السلف دراسة تمهيدية تهدف إلى المحافظة على التراث العلمي

الإسلامي، والتحذير من العبث به، على ضوء وجهة نظر في كتابي: «مختصر تفسير ابن كثير»،

و«صفوة التفاسير» للشيخ علي الصابوني .

١١- منهج الأشاعرة في العقيدة - تعقيب على مقالات الصابوني للدكتور سفر الحوالي.

١٢- تعقيبات على مقالات الصابوني، للشيخ إدريس بن محمد علي .

١٣- نظرات في كتاب النبوة والأنبياء، تأليف الشيخ محمد محمود أبو رحيم .

١٤- الرد على الصابوني فيما سماه: «الهدى النبوي الصحيح في صلاة التراويح»، تأليف

الشيخ محمد بن يوسف العجمي .



## ٢- «صفوة التفاسير» في الميزان ما له وما عليه

### اسم الكتاب:

«صفوة التفاسير، تفسير للقرآن الكريم، جامع بين المأثور، والمعقول مستمد من أوثق كتب التفسير: الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، ابن كثير، البحر المحيط وغيرها». ولكن الكتاب يشتمل على أخطاء مستمدة من كتب ليست هي من أوثق التفاسير، وقد انتقد الشيخ بكر أبو زيد هذه التسمية (صفوة التفاسير) مستنكراً أن ينتج الصفاء من الخلط بين تفسيري ابن جرير، وابن كثير السلفيين، وتفسير الزمخشري المعتزلي، والرضي الرافضي، والرازي الأشعري، والصاوي الأشعري القبوري المتعصب. إن تفسير الكشاف إنما ألفه الزمخشري على أصول المعتزلة كما بينه أئمة العلم، وحذروا من دسائسه فيه، وتفسير الألوسي وإن احتوى على كثير مما لا يُستغنى عنه في التفسير فقد شأنه بما فيه من تحريفات المتصوفة للقرآن المسماة بالتفسير الإشاري يأتي بها بعد فراغه من الكلام على تفسير الآيات.

فهذان التفسيران ما داما كذلك فلا يصح إطلاق القول عليهما بأنهما من أوثق كتب التفسير هذا بالنسبة إلى ما سماه المؤلف من المصادر التي يعتبرها أوثق التفاسير. وكذلك حاشية الصاوي التي وصل من الانحراف فيها إلى القول بأن الأخذ بظاهر القرآن والحديث أصل من أصول الكفر، وإلى إجازة الاستغاثة بغير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، فلا يليق ما دام الأمر هكذا إطلاق القول بأن هذه المراجع من أوثق التفاسير<sup>(١)</sup>.

### منهج الشيخ الصابوني في كتاب «صفوة التفاسير»:

كتاب «صفوة التفاسير» تفسير موجز ذكر مؤلفه في مقدمته أن يجمع عيون ما في التفاسير الكبيرة المفصلة، مع الاختصار والترتيب، والوضوح والبيان، وأنه قد سلك في طريقه لتفسير الكتاب العزيز الأسلوب الآتي:

- أولاً: بين يدي السورة، وهو بيان إجمالي للسورة الكريمة وتوضيح مقاصدها الأساسية.
- ثانياً: المناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة.
- ثالثاً: اللغة مع بيان الاشتقاق اللغوي والشواهد العربية.
- رابعاً: سبب النزول.
- خامساً: التفسير.
- سادساً: البلاغة.
- سابعاً: الفوائد واللطائف.

لقد حاول الشيخ الصابوني في كتاب «صفوة التفاسير» أن يجمع أسهل وأبسط أقوال

(١) باختصار من كتابه «التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير».

المفسرين، بحيث يفهمه عامة المسلمين، وابتعد فيه عن التعقيد في العبارة، وعن المسائل الفقهية، والنحوية، وحاول أن يقدم أقرب فكرة ممكنة تساعد قارئ القرآن على فهم وتدبر ما يقرؤه.

### ومما يلاحظ عند دراسة الكتاب ما يلي:

- ١- المؤلف ينقل عن أصحاب التفاسير المختلفة نصّ كلامهم ويشير إلى مصدره في الهامش، ولكنه أحياناً لا ينقله بنصّه بل يتصرف فيه ويختصره بأسلوبه هو مع الإشارة إلى مصدره في الهامش، وأحياناً لا يشير إلى المصدر.
- ٢- معظم الأحاديث ينقلها من تفسير ابن كثير، وغالباً لا يشير إلى درجة صحة الحديث إن لم يكن في الصحيحين (البخاري ومسلم) أو أحدهما، وأحياناً ينقل الأحاديث من التفاسير، ويكتفي بالإحالة إليها موضعها فيها ولا يذكر مَنْ خرّجها، وأحياناً أخرى يذكر الحديث دون الإشارة إلى أي مصدر.
- ٣- معظم الشواهد الشعرية ينقلها من «البحر المحيط» و«القرطبي»، ونادراً ما ينقلها من تفسير «الرازي» أو «الألوسي».
- ٤- الروايات التاريخية في قصص الأنبياء يذكرها المؤلف بدون إسناد ومعظمها أقوال مرسلة، وغالباً ما ينسبها لأحد المفسرين أو يذكرها بعد قوله: «قال المفسرون:...».
- ٥- غالباً ما يذكر أحداث السيرة النبوية المتعلقة بتفسير الآيات بدون تخريج، وبعد قوله: «قال المفسرون:...».

### محاسن التفسير:

- لا ينكر أحد أن في الكتاب فوائد كثيرة منها الأسلوب الواضح، وذكر المقاصد الأساسية للسرور، وتوضيح بعض معاني الكلمات وبيان اشتقاقها، والمناسبة بين الآيات السابقة والآيات اللاحقة، وذكر الفوائد التي لها علاقة بالآيات والمستنبطة منها.
- وننقل هنا في مميزات الكتاب ما ذكره أحد ناقدَي الكتاب وهو الشيخ محمد بن جميل زينو، حيث قال: «فقد كلفتني مدرسة دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة بتدريس مادة التفسير، واختارت كتاب «صفوة التفسير» لتوفّره لديها، وما كدنا نقرأ منه قليلاً حتى ظهر بعض الأخطاء فيه. وقبل أن أذكر الأخطاء أود إيراد بعض محاسن التفسير، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الشعراء: ١٨٣] ففي التفسير المذكور:
- ١- سهولة العبارة في تفسيره.
  - ٢- معلومات موجزة عن السورة في أولها.
  - ٣- كلامه على البلاغة في آخر السورة، وللعلماء عليه ملاحظات كما سيأتي عند ذكر الخطأ التاسع.

٤- جمعه لأقوال كثير من المفسرين، لكنه لم يتحرر الصواب منها أحياناً<sup>(١)</sup>.

### ومن محاسن «صفوة التفسير»:

١- كشف ضلال أصحاب الأديان الباطلة من المشركين واليهود والنصارى والتي كشف القرآن زيفها، مما تجده متناثراً في أجزاء كثيرة من الكتاب، ومن الأمثلة على ذلك قول المؤلف في تفسير سورة الإخلاص: «يعتقد النصارى بأن الإله ثلاثة أقانيم (الآب، والابن، وروح قدس) وهي عقيدة التثليث التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ تَالِثٌ ثَلَاثَةً وَمَكَ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ﴾ الآية ويعتقدون بأن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، ويزعمون أنهم موحدون، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

٢- بيان محاسن الإسلام وحكمة التشريع، والتصدي لمن يطعنون فيه، ومن ذلك قوله في تفسير سورة النساء إن العبد الرقيق في الإسلام له من الحقوق ما ليس للأحرار في الأمم الأخرى وأن من يطلع على معاملة الزوج في أمريكا يتضح له جلياً صحة ما نقول وها هي الأمم الغربية تحرم استرقاق العبيد في حين أنها تسترق الأحرار، وتحرم استرقاق الأفراد وتسترق الجماعات والأمم والشعوب، باسم الاستعمار والانداب، فأين هذه الحضارة المزعومة والمدنية الزائفة من حضارة الإسلام ومدنيته الصادقة التي حررت الشعوب والأمم والأفراد؟!.

٣- تركيزه في مواطن عديدة من التفسير على أن القرآن يدعو إلى إصلاح المجتمع المسلم على أسس من الفضيلة والخلق الكريم، وحذر المؤلف مما يؤدي إلى تعرض المجتمع للتفسخ والانحلال الخلقي كالتعري ومجالس اللهو، والسينما، والقمار، والغناء المحرم. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾ إن الآية قد أوضحت هدف إبليس اللعين فمن دعا إلى تعري المرأة وشجع على ذلك كما هو حال من يزعم التقدمية ويدعو المرأة إلى نزع الحجاب بدعوة الحرية والمساواة فإنما هو عدو للمرأة ومن أنصار وأعوان إبليس لأن الهدف واحد، وهي دعوة مكشوفة غايتها التفسخ والانحلال الخلقي، وليست التقدمية بالتكشف والتعري وإنما هي بصيانة الشرف والعفاف. وقد رد المؤلف في تفسير سورة الأحزاب على من أباح كشف الوجه، وذكر طائفة من أقوال المفسرين في وجوب ستره.

٤- التثبت ورد الروايات الباطلة، ومن ذلك:

أ- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيّاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا

(١) تنبيهات عامة على كتاب «صفوة التفسير»، ص ٥-٦.



صَلِيحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠]: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ أي فلما وهبهما الولد الصالح السوي ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ أي جعل هؤلاء الأولاد والذرية شركاء مع الله فعبدوا الأوثان والأصنام. وقال في الهامش: «ذهبنا إلى هذا الرأي لجلالته ووضوحه وهو ما رجَّحه المحققون من أهل العلم، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية في: (آدم وحواء) وأن الضمير في قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ يعود إليهما ورووا في ذلك أحاديث وآثار منها ما روي عن سمرة مرفوعاً قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش بها ولد فقال: سمَّيه عبد الحارث فإنه يعيش، فسَمَّته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان» رواه أحمد والترمذي قال الحافظ ابن كثير: وهذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه وقد وضعها رَحِمَهُ اللهُ وَرَجَحَ أَنَّ الحديث موقوف وضعف ما ورد من آثار، ثم روى بسنده عن الحسن أنه قال: «كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم»، ثم قال ابن كثير: «وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق (آدم وحواء) وإنما المراد المشركون من ذريته بدليل قول الله بعده: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾». أقول: وهو الحق الذي لا محيد عنه».

ب- قوله إن الصحابي المشهور «ثعلبة بن أبي حاطب»، ليس هو المقصود بالآيات ٧٨-٧٥ من سورة التوبة، مع أن هذه القصة المكذوبة عليه مشهورة في كتب التفسير. وهذه القصة المكذوبة قد أشار إلى ضعفها ابن حزم والبيهقي والقرطبي والذهبي وابن حجر العسقلاني والسيوطي والألباني<sup>(١)</sup>.

ج - تحذيره من قصة الغرائق المكذوبة، فقال عند تفسير الآية ٥٢ من سورة الحج: وأما قصة الغرائق التي أولع بذكرها بعض المفسرين فهي باطلة مردودة، وهي أن الرسول عليه السلام قرأ سورة: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ بمحضر من المشركين والمسلمين فلما بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَىٰ﴾ ألقى الشيطان على لسانه «تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجي» ففرح بذلك المشركون ولما انتهى من السورة سجد وسجد معه المشركون... إلخ. قال ابن العربي: إن جميع ما ورد في هذه القصة باطل لا أصل له وقال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة وقال البيهقي: رواها مطعون فيهم وقال ابن كثير: ذكر كثير من المفسرين قصة الغرائق وهي روايات مراسلات ومنقطعات لا تصح وقال القاضي عياض: هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل سليم، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون، المولعون بكل غريب، المتلفون من الصحف كل صحيح وسقيم.

(١) انظر: الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب رضى الله عنه، لسليم الهلالي

أقول: مما يدل على بطلان القصة قوله تعالى في نفس السورة: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ فكيف نطق المعصوم بمثل هذا الذي يزعمونه! سبحانه هذا بهتان عظيم.  
 د- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

يتشبه بعض أعداء الإسلام بروايات ضعيفة واهية، لا زمام لها ولا خطام، للطعن في الرسول الكريم والنبل من مقامه العظيم، وجَدَّت في بعض كتب التفسير!! من هذه الروايات الباطلة التي تلقفها «المستشرقون» وخبَّروا فيها وأَوْضَعُوا، أن الرسول ﷺ رأى «زينب» وهي متروجة بزيد بن حارثة فأحبها ووقعت في قلبه فقال: «سبحان مقلب القلوب» فسمعتها زينب فأخبرت بها زيدا، فأراد أن يطلقها فقال له الرسول: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ حتى نزل القرآن يعاتبه على إخفائه ذلك.... إلخ. وهذه روايات باطلة لم يصح فيها شيء كما قال العلامة: «أبو بكر بن العربي» رَحِمَهُ اللهُ، والآية صريحة في الرد على هذا البهتان، فإن الله سبحانه أخبر بأنه سيُظهر ما أخفاه الرسول: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ فماذا أظهر الله تعالى؟ هل أظهر حب الرسول وعشقه لزينب، أم أن الذي أظهره هو أمره عليه السلام بالزواج بها لحكمة عظيمة جليلة هي إبطال «حكم التنبي» الذي كان شائعا في الجاهلية ولهذا صرح تعالى بذلك وأبداه علنا وجهارا: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ يا قوم اعقلوا وفكروا، وتفهموا الحق لوجه الحق بلا تلبيس ولا تشويش وتبصروا فيما تقولون فمن غير المعقول أن يعاتب الشخص لأنه لم يُجاهر بحبه لزوجة جاره؟ وحاشا الرسول الطاهر الكريم أن يتعلق قلبه بامرأة هي في عصمة رجل، وأن يُخفي هذا الحب حتى ينزل القرآن يعاتبه على إخفائه، فإن مثل هذا لا يليق بأي رجل عادي، فضلا عن أشرف الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم، وغاية ما في الأمر - كما نقل في البحر - عن علي بن الحسين أنه قال: «أَعْلَمَ اللهُ نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه وقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك، عاتبه الله وقال له: أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مُبْدِيهِ!! انظر رد الفرية في كتابنا «النبوة والأنبياء» ص ٩٩.

ه- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِصِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعْىَ بَعْضًا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَخَرُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا شَطِطَ وَاهِدَنَا إِلَىٰ سَوَاءٍ الْأَصْرَطِ ۖ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً وَلِي نَجْعَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۖ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْعِكَ إِلَىٰ نَجْعِهِ ۖ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَعَفَوْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿٢٥﴾ [ص: ٢١-٢٥].

«وقع بعض المفسرين في خطأ فاحش حين نقلوا بعض الأقوال الواهية في تفسيرهم اعتماداً علي ما جاء عند أهل الكتاب من غير تحقيق ولا تمحيص، مما لم يصح سنده ولا يجوز اعتماده، لأنه من القصص الإسرائيلية التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية في (عصمه الأنبياء). من هذه الأباطيل المدسوسة ما رُوي من أمر عشقه لزوجة قائد جيشة وخلاصتها: (أن داود كان يمشي علي سطح داره فنظر إلي امرأه تستحم فأعجبته وعشقها، وكانت زوجة أحد قواده ويسمي (أوريا) فأراد أن يتخلص منه ليتزوج بها، فأرسله في إحدى المعارك وحمله الراية وأمره بالتقدم فانتصر، فأرسله مراراً ليتخلص منه حتي قُتل فتزوجها . . .) إلخ ما هناك من الكذب والبهتان، قال ابن كثير: وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيلية، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا إيرادها في كتابنا قصداً، اكتفاءً بمجرد تلاوة القصة من القرآن الكريم، والله يهدي من يشاء إلي الصراط المستقيم، وقال البيضاوي: ما قيل: أنه أرسل (أوريا) مراراً إلى الحرب، وأمره أن يتقدم حتى قُتل فتزوجها داود، فزوروا افتراء، ولذلك قال علي عليه السلام: (من حدث بحديث داود علي ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة) وهو حد الفرية علي الأنبياء .

والصحيح في موضوع هذه القصة ما ذكره المحققون من أئمة التفسير وعلماء الأعلام، وبيان هذه القصة أن داود عليه السلام كان يخصص بعض وقته لتصريف شئون الملك، ولل قضاء بين الناس، ويخصص البعض الآخر للخلوة والعبادة وترتيل الزبور تسبيحاً لله في المحراب، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتي يخرج هو إلي الناس، وفي ذات يوم فوجئ بشخصين يتسوران المحراب الذي يتعبد فيه، ففزع منهما وأضمر في نفسه أن يبطش بهما، فبادرا يُطمئناناً أنهما خصمان اختلفا في أمر بينهما، وبدأ أحدهما فعرض خصومته. كما قصها القرآن الكريم في آياته البينات. والقضية كما عرضها أحد الخصمين تحمل ظلماً صارخاً مشيراً لا يتحمل التأويل ومن ثم اندفع داود علي إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة، ولم يوجه إلي الخصم الآخر حديثاً، ولم يطلب إليه بياناً، ولم يسمع له حجة، ولكنه مضي يحكم بقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْنِكَ إِلَىٰ تِنَاجِهِ﴾ ﴿١﴾ إلي آخر الآيات فعاتبه الله علي ذلك ونبهه إلي ضروره تثبت القاضي علي حكمه وسماعه للخصم الآخر . . أما ما قاله البعض اعتماداً علي بعض الرويات الإسرائيلية مما ذكرناه وحذرناه منه، فانه لا يصلح بالنسبة إلي عوام المسلمين وجهلة الفساق، فما بالك بالأنبياء بل بخواص الأنبياء «فليتدبر هذا من له عقل سليم ودين قوي».

و- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] «قال ابن كثير:» وقد أورد بعض المفسرين أثراً كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها أوكلها مُتْلَقَةً من الإسرائيليات، وفي كثير منها نكارة شديدة .

ثم قال المؤلف في الهامش: أشار ابن كثير إلي ما ذكره، بعض المغرمين بالروايات الضعيفة، والحكايات الاسرائيلية المصطنعة، حول فتنة سليمان التي أشار إليها القرآن الكريم هذه الاشارة الخاطفه «ولقد فتنا سليمان» ومن أغربها وأنكرها ما رواه ابن أبي حاتم أن سليمان عليه السلام أراد ان يدخل الخلاء، فأعطي الجراد . زوجته . خاتمه، وكانت أحب نسائه إليه فجاءها الشيطان في صوره سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فظنَّته سليمان فأعطته إياه، فلما لبسه دانت له الأنس والجن والشياطين . . . ، إلخ، وكل هذه الروايات خرافات وأباطيل ردَّها المحققون من العلماء كابن كثير، والفخر الرازي، والبيضاوي والنسفي وغيرهم .

٥- في بعض مواضع من «صفوة التفاسير» يُردُّ المؤلف التفاسير المخالفة للقرآن والسنة، ومن ذلك:

أ- قوله في تفسير الآية ٧٤ من سورة الأنعام: تنبيه: ذهب بعض المفسرين إلى أن ﴿ءَازَرَ﴾ عم إبراهيم وليس أباه وقال آخرون: إنه اسم للصنم، والصحيح كما قال المحققون من المفسرين أنه اسم لوالد إبراهيم وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، والآية صريحة في أن آزر كان كافراً ولا يقدح ذلك في مقام إبراهيم عليه السلام وفي صحيح البخاري «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ أَرْزَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِهِ أَرْزٌ قَتَرَةٌ وَعَبْرَةٌ ...» الحديث ودعوى إيمانه مرفوضة بنص الكتاب والسنة والله أعلم.

ب- قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَفْذُوا مِنْ أَفْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٣) ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٤) ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥]:

« جنح بعض المتأخرين في هذه إلى تفسير الآية تفسيراً خاطئاً فزعموا أن الإنسان يُمكنه الصعود إلى السماوات وإلى الكواكب وفسروا «السلطان» بالعلم وهو مخالف لأقول المفسرين، ويردُّه سياق الآية وسباقها، فإن الآية سيقت لبيان أهوال الآخرة وشدائدها بدليل قوله تعالى قبلها: ﴿سَفَرُّكُمْ لَكُمْ أَيْهَةُ الثَّقَلَانِ﴾ وقوله بعدها: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاْظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ وقد اتفق المفسرون على أنها في الآخرة، ونحن لانستتكر إمكان وصول الإنسان بالصواريخ والمخترعات الحديثة. إلى القمر أو بعض الكواكب، فإن ذلك مقدور الإنسان ويستطيع بواسطة العلم أن يدور حول الأرض ويعلو في الأجواء ولكنه لا يستطيع أن يصل إلى السماء، فقد جعلها الله سقفاً محفوظاً، أما القمر وسائر الكواكب فهي دون السماء الدنيا

ويمكن الوصول إليها. ولكننا نستنكر ونتعجب ممن يتهجم على القرآن بدون علم ولا فهم، ويقول في كتاب الله برأيه دون الرجوع إلى أقوال المفسرين المعتمدين، وانظر ما كتبناه في مجلة رابطة العالم الإسلامي سنة ١٣٨٧ حول الوصول إلى القمر».

ج- قال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ بَنِيَّ مَرْصَاتٍ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم: ١]: «أي والله واسع المغفرة، عظيم الرحمة، حيث سامحك في امتناعك عن مارية، وإنما عاتبك رحمة بك، وفي هذه إشارة إلى أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب لتضييقه عليه السلام على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أنس ومتعة، وبئس ما قاله الزمخشري في أن هذا كان منه ﷺ زلة لأنه حرّم ما أحل الله له الخ فإن هذا القول قلة أدب مع مقام النبوة، وجهل بصفات المعصوم، فلم يكن منه صلوات الله عليه تحريمٌ للحلال كما زعم حتى تعتبر مخالفة ومعصية، وإنما امتنع عن بعض إمائه تطبيقاً لخاطر بعض أزواجه، فعاتبه الله تعالى عليه رفقا به، وتنويهاً بقدره، وإجلالاً لمنصبه عليه السلام أن يراعي مرضاة أزواجه بما يشق عليه، جرياً على ما ألف من لطف الله تعالى به».

ثم قال في الهامش: شنّ صاحب «الإنصاف على الكشاف» الغارة على الزمخشري وشنع عليه وهو مُحِقٌّ في ذلك، لأن من نظر إلى لطف العتاب عرف حقيقة الأمر والصواب.

٦- التنبيه على أن القرآن لا يخالف الحقائق العلمية: فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي وإلى الأرض التي يعيشون عليها، كيف بُسِطَتْ ومُهِدَتْ حتى صارت شاسعة واسعة يستقرون عليها، ويزرعون فيها أنواع المزروعات؟! قال الألوسي: ولا ينافي هذا، القول بأنها كرة أو قرية من الكرة لمكان عِظَمِهَا ثم قال في الهامش: أثبت علمائنا أن الأرض كروية كالإمام الفخر الرازي، وأبي السعود، والألوسي، كما نقلنا بعض ذلك في سورة لقمان، وأما كونها مسطحة أو مبسوطة فإنما هي بالنسبة لعظمها وسمتها أبو بالنسبة للناظرين، فليس في القرآن ما يخالف الحقائق العلمية.

٧- نصر المؤلف عقيدة أهل السنة في بعض المواضع من تفسيره ومن ذلك:

أ- في الرد على من يحتجون بالقدر نقل عن «محاسن التأويل» قول ابن تيمية في منهاج السنة: «والاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة، باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين، ولهذا لما قال المشركون ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] ردّ الله عليهم بقوله ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨] والمشركون يعلمون بفطرتهم وعقولهم أن هذه الحجة باطلة، فإن أحدهم لو ظلم الآخر، أو أراد قتل ولده، أو الزنى بزوجه، أو كان مصراً على الظلم فنهاه الناس عن ذلك فقال: لو شاء الله لم أفعل هذا، لم يقبلوا منه هذه الحجة ولا يقبلها هو من غيره، وإنما يحتج بها المحتج دفعاً للوم عن نفسه بلا وجه ...»<sup>(١)</sup>.

(١) عن محاسن التأويل الجزء العاشر بإيجاز.

ب- فيما يتعلق برؤية المؤمنين لله ﷻ في الآخرة:

قال في تفسير قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]: «الآية نَفَتْ الإِحَاطَةَ ولم تَنْفِ الرؤية فلم يقل تعالى: (لا تراه الأبصار)، فمن ذهب إلى عدم رؤية الله في الآخرة كالمعتزلة فقد جَانَبَ الْحَقَّ وَضَلَّ السَّبِيلَ بِمُخَالَفَةِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ المتواترة، أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وأما السنة فما أخرجه البخاري «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تَصَاطُونَ فِي رُؤْيَيْهِ». الحديث وكفى بالكتاب والسنة دليلاً وهادياً.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا بَلَغَ رَجُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] «مذهب أهل السنة قاطبة على أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وأنكرت المعتزلة ذلك واستدلوا بالآية الكريمة ﴿لَن تَرِنِي﴾ وليس لهم في هذه الآية متمسك بل هي دليل لأهل السنة والجماعة على إمكان الرؤية، لأنها لو كانت مُحَالاً لم يسألها موسى فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل، ولو كانت الرؤية مستحيلة لكان في الجواب زجرٌ وإغلاظ كما قال تعالى لنوح ﴿فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦] فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك قال مجاهد: إن الله قال لموسى: لن تراني، لأنك لا تطيق ذلك ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصبر لهيئتي أمكن أن تراني أنت، وإن لم يُطِقِ الجبل فأحرى ألا تطيق أنت، فعلى هذا جعل الله الجبل مثلاً لموسى ولم يجعل الرؤية مستحيلة على الإطلاق، وقد صرح بوقوع الرؤية في الآخرة كتابُ الله ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] فلا ينكرها إلا مبتدع».

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]: أي تنظر إلى جلال ربها، وتهيم في جماله، أعظم نعيم لأهل الجنة رؤية المولى جلا وعلا والنظر إلى وجهه الكريم بلا حجاب. قال الحسن البصري: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق<sup>(١)</sup>، وبذلك وردت النصوص الصحيحة».

ثم قال في الهامش: «هذا هو مذهب أهل السنة، ويؤيده ما ورد في الصحيحين: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ» الحديث وفي صحيح مسلم: «فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» وأنكر المعتزلة رؤية الله في الآخرة



وأولوا الآية: «ناظرة» بمعنى منتظرة تنتظر ثواب ربها، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف الجر، وانظر الأدلة وافية في تفسير الخازن ١٨٦/٤.

ج- فيما يتعلق بالعقيدة في الصحابة عليهم السلام: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

نقل المؤلف عن الحافظ ابن كثير قوله: وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسبُّ الصحابة ليس له في مال الغنيمة شيء لعدم اتصافه بأوصاف المؤمنين، ونقل عن شيخ زادة قوله: «بين تعالى أن من شأن من جاء من بعد المهاجرين والأنصار أن يذكر السابقين بالرحمة والدعاء، فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء فقد كان خارجاً عن جملة أقسام المؤمنين بمقتضى هذه الآيات، وقد روي عن الشعبي أنه قال: تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى فقالوا: أصحاب عيسى، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم، فالسيفُ عليهم مسلولٌ إلى يوم القيامة».

د- في توحيد الأسماء والصفات: قال في تفسير الآية ١٥٨ من سورة البقرة: «الشكر معناه مقابلة النعمة والإحسان بالثناء والعرفان، وهذا المعنى محالٌ على الله إذ ليس لأحدٍ عنده يدٌ ونعمة حتى يشكره عليها ولهذا حملة العلماء على الثواب والجزاء أي أنه تعالى يُثيبه ولا يضيع أجر العاملين، أقول: والصحيح ما عليه السلف من إثبات الصفات كما وردت، فهو شُكْرٌ يليق بجلاله وكماله» اهـ.

فالمؤلف هنا ردَّ القول المخالف لمذهب السلف؛ فالشاكر والشكور، من أسماء الله تعالى، الذي يقبل من عباده السير من العمل، ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر.

هـ- في توحيد الأسماء والصفات: استواء الله على عرشه:

ذكر المؤلف أن الله فوق العرش، وأثبت الله تعالى استواءً يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف كما هو مذهب السلف، وفسَّر الاستواء بالعلو والاستقرار وأنه علا فوق العرش علواً يليق بجلاله، وأنا لا نعلم كيفية الاستواء.

فقال في تفسير الآية ١٨٦ من سورة البقرة: قال الإمام ابن تيمية «وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلعٌ إليهم فدخل في ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه» وفي الصحيح إن «الَّذِي تَدْعُوهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقٍ رَاحِلَتِهِ»<sup>(١)</sup> وما ذُكر في الكتاب والسنة

(١) رواه مسلم بلفظ: «وَالَّذِي تَدْعُوهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقٍ رَاحِلَةٍ أَحَدِكُمْ»

من قُربِه ومَعِيَّتِه لا يُنَافِي ما ذُكِرَ من عُلُوِّه وفوقِيَّتِه فإنَّه سبحانه ليس كمثله شيء<sup>(١)</sup>.  
وفي تفسير سورة الرعد فسر المؤلف الاستواء بالعلو فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٣]: «أي علا فوق العرش عُلُوًّا يليق بجلاله». وقال في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: «﴿أَسْتَوَى﴾ الاستواء: العلو والاستقرار». ثم قال: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: «أي استواءً يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف كما هو مذهب السلف وكما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخبار الصفات تُمرُّ كما جاءت بلا تشبيه ولا تعطيل فلا يقال: كيف؟ ولم؟ نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء، وكما شاء بلا حدٍّ ولا صفة يبلغها واصفٌ أو يحُدُّها حدٌّ، نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عزَّ وجلَّ»، وقال القرطبي: لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تُعلم حقيقته».

وقال في تفسير قوله تعالى في سورة طه: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [طه: ٥]: «استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله من غير تجسيم، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل كما هو مذهب السلف».

وقال في تفسير قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]: «استواءً يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل».

وقال في تفسير قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]: «استواءً يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل».

وقال في تفسير قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]: «استواءً يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تكييف».

وقال في تفسير سورة يونس: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يليق بجلاله من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل».

ثم نقل المؤلف عن ابن كثير قوله: «نسلُّك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، وهو إمرارها كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل، والمتبادر إلى أذهان المشبِّهين منفي عن الله، فإن الله لا يُشَبَّه شيء من خلقه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة، والأخبار



الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله، فقد سلك سبيل الهدى» اهـ. وفي تفسير كل هذه الآيات يُحيل المؤلف على تفسيره لآية الأعراف في تفسير استواء الله على عرشه. ولكن المؤلف نقل في تفسير سورة يونس قول أبي السعود: «استوى على العرش على الوجه الذي عناه، وهو صفة له سبحانه بلا كيف، مُنَزَّهًا عن التمكن والاستقرار». وهذا من الملاحظات التي أُخِذَتْ على المؤلف، فقول أبي السعود «منزَّهًا عن التمكن والاستقرار» غير موافق لما يثبتته السلف من صفة العلو، ومخالف لما ذكره المؤلف نفسه - في تفسير سورة الأعراف - من تفسير الاستواء بالعلو والاستقرار.

فكلام أبي السعود مخالفٌ لعقيدة أهل السنة والجماعة، والواجب السكوت عما سكنت عنه النصوص وسكت عنه السلف؛ بل إن عامة أهل السنة على إثبات «التمكن والاستقرار» الذي نزه أبو السعود الله عنه، فإن جمعاً من علماء أهل السنة فسروا الاستواء بالاستقرار والتمكن، وما أنكر البقية عليهم. جاء في كتاب «التمهيد» لابن عبد البر (٧/ ١٣١): «الاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار، والتمكن فيه». فمن الملاحظات التي أُخِذَتْ على المؤلف أنه في الأسماء والصفات يتردد في مواضع من كتابه بين مذهب السلف وبين مذهب المفوضة، أو يخلط بينهما<sup>(١)</sup>، أو يُخطئ في الوصول إلى مذهب السلف، أو يقتصر على جزء منه:

أ- فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ

(١) التفويض في أسماء الله تعالى وصفاته له معنيان: الأول: معنى صحيح، وهو إثبات اللفظ ومعناه الذي يدل عليه، ثم تفويض علم كفيته إلى الله، فثبت لله تعالى أسماء الحسنى، وصفاته العلى، ونُعرف بمعانيها ونؤمن بها، غير أننا لا نعلم كفيته. فنؤمن بأن الله تعالى قد استوى على العرش، استواء حقيقياً يليق بجلاله سبحانه، ليس كاستواء البشر، ولكن كيفية الاستواء مجهولة بالنسبة لنا؛ ولذا، فإننا نفوض كفيته إلى الله، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة: إثبات صفات الله تعالى، إثباتاً بلا تمثيل ولا تكييف، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. والمعنى الثاني للتفويض - وهو معنى باطل -: إثبات اللفظ من غير معرفة معناه. فيثبتون الألفاظ فقط، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ثم يقولون: لا ندري معناه، ولا ماذا أراد الله به!! وقد توهم البعض أن مذهب السلف هو التفويض، وفهموا ذلك من قول السلف في أحاديث الصفات: (أمرؤها كما جاءت بلا كيف). وهو فهم غير صحيح، بل هذا القول الوارد عن السلف يدل على أنهم كانوا يثبتون الصفات بمعانيها لله تعالى، ثم ينفون علمهم بكيفية ذلك. وفي هذه العبارة رد على المعطلة والمثثلة، ففي قولهم: «أمرؤها كما جاءت» ردٌ على المعطلة. وفي قولهم: «بلا كيف» رد على المثثلة. وفيها أيضاً دليل على أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله تدل على ذلك من وجهين: الأول: قولهم: «أمرؤها كما جاءت». فإن معناها إبقاء دلالتها على ما جاءت به من المعاني، ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تعالى، ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا: «أمرؤا لفظها ولا تتعرضوا لمعناها». ونحو ذلك. الثاني: قولهم: «بلا كيف» فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى، لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كفيته، فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه، فنفي كفيته من لغو القول.

وَأَمَلَيْكَهُ ﴿البقرة: ٢١٠﴾: أي ما ينتظرون شيئاً إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة لفصل القضاء بين الخلائق» اهـ.

وهذا القول من المؤلف إثبات لمذهب السلف، فالإتيان والمجيء صفتان ثابتتان بالكتاب والسنة على ما يليق بجلال الله، فهما من صفات الله على الحقيقة على ما هو لائق بالله بلا معرفة الكيف. ومن الدلائل على بطلان تأويل الإتيان والمجيء بالأمر أن الملائكة من أمر الله فلا معنى لمجيء الأمر مع تصريح مجيء الملائكة لأنه يكون ذكراً للملائكة بلا فائدة. ولكن المؤلف عاد وقال في الهامش: «ذهب الإمام الفخر إلى أن معنى قوله: ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي يأتيهم أمره وبأسه فهو على حذف مضاف مثل قوله: ﴿وَسَّيْلُ الْقَرْيَةِ﴾ وهو مجاز مشهور يقال ضرب الأمير فلاناً وصلبه وأعطاه المراد أنه أمر بذلك واستدل على صحة هذا التأويل بالآية الأخرى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ وما أثبتناه من تفسير ابن كثير هو مذهب السلف وهو عدم التأويل وتفويض معنى الآية على سبيل التفصيل إلى الله تعالى» اهـ.

والمؤلف هنا بنقله لكلام الفخر الرازي خلط بين مذهب السلف ومذهب الخلف، وأيضاً خطأ في قوله إن مذهب السلف هو عدم التأويل وتفويض معنى الآية على سبيل التفصيل إلى الله تعالى؛ لأن السلف إنما يفوضون كيفية الصفة ولا يفوضون معناها، ويدل على ذلك ما نقله المؤلف نفسه بعد ذلك حيث قال:

تنبيه: قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في رسالته «التدمرية»: «وَصَفُّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِالْإِتْيَانِ فِي ظِلِّ مِنَ الْغَمَامِ كَوَصْفِهِ بِالْمَجِيءِ فِي آيَاتٍ آخَرَ وَنَحْوَهُمَا مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ صَحَّ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ والقول في جميع ذلك من جنس واحد وهو مذهب سلف الأمة وأئمتها، إنهم يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والقول في صفاته كالقول في ذاته والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فلو سأل سائل: كيف يجيء سبحانه؟ فليقل له: كما لا تعلم كيفية ذاته كذلك لا تعلم كيفية صفاته»<sup>(١)</sup>.

ب- والخلط بين مذهب السلف والخلف تجده أيضاً في تفسيره لسورة الفجر حيث

(١) ما نقله المؤلف ليس في «التدمرية» لابن تيمية بل هو كلام القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» (٢/ ٨٨): «فلو سأل سائل: كيف يجيء سبحانه أو كيف يأتي..؟ فليقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: لا أعلم كيفية ذاته! فليقل له: وكذلك لا تعلم كيفية صفاته..! فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف. وقد أطلق غير واحد، ممن حكى إجماع السلف، منهم الخطابي: مذهب السلف أن صفاته تعالى تجري على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها».

قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي وجاء ربك يا محمد لفصل القضاء بين العباد، وجاء الملائكة صُفُوفًا متتابعة صفاً بعد صفٍّ اهـ.

وكلام المؤلف هنا موافق لمذهب السلف، ولكنه لم يقف عند هذا بل نقل عن ابن جرير في تفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل» قول المنذر بن سعيد: «معناه ظهوره للخلق هنالك»، وأن هذه الآية وأمثالها مما يجب الإيمان به من غير تكيف ولا تمثيل وما ذكره المؤلف في بداية تفسير الآية هو الصواب، فالمجيء صفة من صفات الله على الحقيقة على ما هو لائق بالله بلا معرفة الكيف. فقلوه تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ لا يصح تأويله بظهور الله للخلق. بل هذا مع مخالفته لظاهر القرآن يخالف نص السنة الصحيحة، فعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: يَجْمَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، قِيَامًا أَرْبَعِينَ سَنَةً شَاخِصَةً أَبْصَارُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ، يَنْتَظِرُونَ فَضْلَ الْقَضَاءِ، وَيَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الْكُرْسِيِّ (رواه ابن أبي الدنيا والطبراني، والحاكم وصححه، وحسنه الذهبي، وصححه الألباني).

وبذلك قال أئمة التفسير. قال الإمام الطبري في تفسيره (٢٤ / ٤١٧): «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِذَا جَاءَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدٌ وَأَمَلَاكُهُ صُفُوفًا صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ». اهـ. ثم أورد من الأحاديث والآثار ما يدل لقوله ويثبت مجيء الله تعالى.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٨ / ٣٩٩): ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ يَعْنِي: لِفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَيْهِ بِسَيِّدٍ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٌ ﷺ، ... فَيَذْهَبُ فَيَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ فَيُشَفِّعَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، ... فَيَجِيءُ الرَّبُّ تَعَالَى لِفَضْلِ الْقَضَاءِ كَمَا يَشَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا صُفُوفًا.

ج- قال المؤلف في تفسير الآية ٢٥٥ من سورة البقرة: ﴿الْعَلِيِّ﴾ المراد علو المنزلة والشأن الذي تعالى في جلاله وعظم في سلطانه اهـ.

ولم يذكر علو الذات الذي ذكره في تفسيره لآيات الاستواء، حيث ذكر أن الله فوق العرش، وأثبت لله ﷻ استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف كما هو مذهب السلف، وفسر الاستواء بالعلو والاستقرار وأنه علا فوق العرش علواً يليق بجلاله، وأنا لا نعلم كيفية الاستواء.

فمن أسماء الله الحسنى (العليّ الأعلى) وذلك دال على أن جميع معاني العلو ثابتة لله من كل وجه، فله علو الذات، وهو أنه مستو على عرشه، فوق جميع خلقه، مباين لهم، وهو مع هذا مطلع على أحوالهم، مشاهد لهم، مدبر لأموالهم الظاهرة والباطنة متكلم بأحكامه القدريّة، وتدبيراته الكونية، وبأحكامه الشرعية.

وأما علو القدر فهو علو صفاته، وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوق، بل لا يقدر الخلائق

كلهم أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>، وبذلك يعلم أنه ليس كمثله شيء في كل نعوته.

وله علو القهر فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن فلو اجتمع الخلق على إيجاد ما لم يشأه الله لم يقدرُوا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعه، وذلك لكمال اقتداره، ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من كل وجه.

### ملاحظات عامة على كتاب "صفوة التفاسير" للشيخ الصابوني<sup>(٢)</sup>:

١- اعتماد المؤلف على مصادر غير مرغوب فيها ووصفها بأنها أوثق كتب التفسير، مثل: «تلخيص البيان» للرضي الشيعي الرافضي، و«تفسير الزمخشري» المعتزلي، وعلى تفاسير الأشاعرة كالرازي وأبي السعود والضاوي والبيضاوي، وبعض التفاسير العصرية، ولا يخفى أن كثيراً من القراء يعرفون حقيقة هذه الكتب وما فيها من أخطاء.

٢- إثبات المجاز والاستعارات في القرآن الكريم مما لا يتناسب مع مكانته الجليلة، وكلام الله يجب حمله على الحقيقة لا على المجاز<sup>(٣)</sup>.

٣- حشو الكتاب بما لا يفهمه كثير من القراء من اصطلاحات البلاغيين، مثل: الطباق، والجناس، والاشتقاق، والإطناب، والحذف، ويذكر هذه الأشياء بمجرد أسمائها من غير إيضاح لها<sup>(٤)</sup>.

٤- يُورد في الكتاب كثيراً من الأحاديث في أسباب النزول وغيرها، ولا يبين درجتها من الصحة وعدمها.

٥- ينقل من كتب المعتزلة والأشاعرة من غير تعليق على ما تشتمل عليه عباراتهم من أغلاط في العقيدة، وهذا فيه تمرير لعقائدهم الباطلة وتغريب بالقارئ المبتدئ.

(١) انظر: تعقيبات وملاحظات على كتاب صفوة التفاسير (ص ١٢ - ١٣)، تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير ومخالفات هامة في مختصر تفسير ابن جرير الطبري (ص ٧-٣٥).

(٢) انظر: «منع جواز المجاز في المنزل للتعب والإعجاز»، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

(٣) من الملاحظات المتكررة في الكتاب قول المؤلف إن في القرآن سجّاءً، والصواب ألا يقال ذلك؛ لأن السجع من كلام الكهنة المذموم. وقد ذكر الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» (١/ ٥٤) كلاماً ينفي فيه وجود السجع في القرآن، وذكر السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» (٣/ ٣٣٤) أن الجُمهُورَ على أنه لا يجوز أن يُقال: في القرآن سَجْعٌ؛ لِأَنَّ السَّجْعَ أَصْلُهُ مِنْ سَجَعَ الطَّيْرُ فَشَرَفَ الْقُرْآنُ أَنْ يُسْتَعَارَ لشيءٍ مِنْهُ لَفْظٌ أَصْلُهُ مُهْمَلٌ وَلِأَجْلِ تَشْرِيفِهِ عَنْ مُسَارَكَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْحَادِثِ فِي وَصْفِهِ بِذَلِكَ وَلِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى فَلَا يَجُوزُ وَصْفُهُ بِصِفَةٍ لَمْ يَرِدِ الْإِذْنُ بِهَا. وَفَرَّقُوا بَيْنَ السَّجْعِ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ فِي نَفْسِهِ ثُمَّ يُحَالُ الْمَعْنَى عَلَيْهِ وَالْفَوَاصِلُ الَّتِي تَتَّبَعُ الْمَعَانِي وَلَا تَكُونُ مَقْصُودَةً فِي نَفْسِهَا، وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْفَوَاصِلُ بِلَاغَةً وَالسَّجْعُ عَيْبًا.

٦- يفسر بعض آيات الصفات بما فسر بها به نفاة الصفات<sup>(١)</sup>، ولا يفسرها بالأحاديث التي جاءت توضيحها، كما في آية ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾، وآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾، وآية: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

٧- يتمشى مع منهج المتكلمين في الاستدلال بالآيات على إثبات توحيد الربوبية ووجود الرب ولا يستدل بها على توحيد الإلهية الذي سيقت من أجله وجاءت لمُحَاجَّة المخالفين فيه<sup>(٣)</sup>.

٨- يتمشى مع منهج المرجئة في تفسير الإيمان بالتصديق فقط<sup>(٤)</sup>.

٩- تمر في تفسيره تعبيرات صوفية.

١٠- قوله في تفسير أنه لا إله إلا الله: «لا معبود سواه» والصواب: لا معبود بحق سواه، لأن هناك معبودات بغير حق، ومن ذلك قوله في تفسير الآية ٦٢ من سورة آل عمران: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يوجد إله غير الله، فالصواب أن يقال: «لا يوجد إله حق غير الله» لأن هناك آلهة باطلة<sup>(٥)</sup>.

(١) قال المؤلف في كتابه «كشف الافتراءات في رسالة التنبهات حول صفوة التفاسير» (ص / ١٦٧) إنه لا يتبنى مذهب الأشاعرة وأقر بأنهم مُخطئون في التأويل، ولكنه وقع في بعض ما وقعوا فيه من التأويل، ومن ذلك تأويل الوجه بالذات؛ لأنه نفى لصفة ثابتة لله تعالى. ومن ذلك قوله في تفسير سورة ص: ﴿قَالَ يَبْرَأِيلُ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ﴾ أي: قال له ربه: ما الذي صرفك وصدك عن السجود لمن خلقته بذاتي. وتفسير اليدين بالذات تعطيل للصفات وجحد ليدى الله الكريمتين. فالإيدان صفة ذاتية خبرية لله عز وجل، ثبتها كما ثبت باقي صفاته تعالى؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، وهي ثابتة بالكتاب والسنة.

(٢) خالف المؤلف في ذلك ما نقله في تفسير «سورة الكوثر» عن أبي حيان في «البحر المحيط» من أن في الكوثر ستة وعشرين قولاً، وأن الصحيح هو ما فسره به رسول الله ﷺ.

(٣) هذا هو الغالب، ولكنه نادراً ما يخالف ذلك، فقد نقل عن الحافظ ابن كثير في تفسير سورة الغاشية قوله: «نبه تعالى البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته، على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم، الخالق المالك المتصرف، الذي لا يستحق العبادة سواه» اهـ. وقال في تفسير سورة الشمس: «قال المفسرون: أقسم سبحانه بسبعة أشياء «الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، والنفس البشرية» إظهاراً لعظمته قدرته، وانفراده بالألوهية، وإشارة إلى كثرة مصالح تلك الأشياء وعظم نفعها وأنها لا بد لها من صانع ومدبر لحركاتها وسكناتها».

(٤) وقد ذكر المؤلف كلام أهل السنة في تفسير الآية ٧ من سورة «فاطر» حيث قال: «فالإيمان تصديق، وقول، وعمل».

(٥) ولكن في مواطن من تفسيره ذكر المؤلف القول بالصواب، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْإِلَهُ الْوَاحِدُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]: «أي لا معبود بحق إلا هو جل وعلا». وقال في تفسير الآية ١٨ من سورة آل عمران: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود في الوجود بحق إلا هو». وقال في تفسير الآية ٢ من سورة غافر: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود بحق إلا الله، ولا رب في الوجود سواه». وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٣]: «أي هو جل وعلا الإله المعبود بحق لا إله ولا رب سواه».

١١- من الملاحظات المتكررة في الكتاب قول المؤلف: هذا تعجب من الله تعالى لنبه، هذا التعبير خطأ، لأنه يتضمن نفْي التعجب عن الله، وقد ثبت في الأدلة أنه سبحانه يعجب<sup>(١)</sup>، ومثل هذا يتكرر كثيراً، والصواب أن يقول: هذا تعجب من الله. فالله هو من يتكلم بصيغة التعجب فيكون متعجباً<sup>(٢)</sup>.



(١) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «قوله تعالى: بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ. قَرَأَ هَذَا الْحَرْفَ عَامَّةُ الْقُرَاءِ السَّبْعَةِ غَيْرَ حَمْزَةِ وَالْكَسَائِيِّ: عَجِبْتَ بِالتَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ وَهِيَ تَاءُ الْخَطَابِ، الْمُخَاطَبُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ: بَلْ عَجِبْتُ، بِضَمِّ التَّاءِ وَهِيَ تَاءُ الْمُتَكَلِّمِ، وَهُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا. وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي تَرْجُمَةِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ أَنَّ الْقُرَاءَتَيْنِ الْمُخْتَلِفَتَيْنِ يُحْكَمُ لَهُمَا بِحُكْمِ الْآيَتَيْنِ. وَبِذَلِكَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ عَلَى قِرَاءَةِ حَمْزَةٍ وَالْكَسَائِيِّ فِيهَا إِثْبَاتُ الْعَجَبِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَهِيَ إِذَا مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ» [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٣٠٨)].

(٢) وقد أثبت المؤلف صفة التعجب لله فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ: «أَيُّ شَيْءٍ خَدَعَكَ بِرُكِّ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ، حَتَّى عَصَيْتَهُ وَتَجَرَأْتَ عَلَى مَخَالَفَةِ أَمْرِهِ، مَعَ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ وَعَظْفِهِ عَلَيْكَ؟». ثُمَّ قَالَ فِي الْهَامِشِ: هَذِهِ الْآيَةُ وَارِدَةٌ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ وَالتَّعْجِبِ مِنْ حَالِ الْإِنْسَانِ الْجَاهِلِ لِنِعْمِ رَبِّهِ. وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ ﴿١﴾ تَعَجَّبُ مِنْ حَالِ ذَلِكَ الشَّقِيِّ الْفَاجِرِ أَيْ أَخْبَرَنِي يَا مُحَمَّدُ عَنْ ذَلِكَ الْمَجْرَمِ الْأَثِيمِ، الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ عَنِ الصَّلَاةِ، مَا أَسْخَفَ عَقْلَهُ. وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾: «الاستفهام للتعجب والاستغراب». وَقَدْ ذَكَرَ الْمَوْلَفُ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِصَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». وَذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

### ٣- مصادر الشيخ الصابوني في «صفوة التفاسير»

- ١- تفسير ابن جرير الطبري «جامع البيان في تأويل القرآن».
- ٢- تفسير ابن كثير «تفسير القرآن العظيم».
- ٣- تفسير القاسمي «محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم».
- ٤- تفسير الزمخشري «الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن في وجوه التأويل»<sup>(١)</sup>.
- ٥- تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز».
- ٦- تفسير الرازي «مفاتيح الغيب» أو «التفسير الكبير».
- ٧- تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن».
- ٨- تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»<sup>(٢)</sup>.
- ٩- تفسير ابن جرّي «التسهيل لعلوم التنزيل».
- ١٠- تفسير الخازن «لباب التأويل في معاني التنزيل».
- ١١- تفسير أبي حيان الأندلسي «البحر المحيط في التفسير»<sup>(٣)</sup>.
- ١٢- تفسير الجلالين، لجلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي.
- ١٣- حاشية الجمل على «تفسير الجلالين» (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية).

- ١٤- حاشية الصاوي على «تفسير الجلالين».
  - ١٥- تفسير السيوطي «الدر المنثور في التفسير بالمأثور».
  - ١٦- تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم».
  - ١٧- تفسير الشوكاني «فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراسة من التفسير».
  - ١٨- تفسير الألوسي «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني».
- ومن الكتب الأخرى التي نقل منها الشيخ الصابوني في «صفوة التفاسير»:**

- ١- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني.
- ٢- غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري.
- ٣- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جماعة الكناي الحموي الشافعي.
- ٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي.

(١) لشرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي حاشية على تفسير الكشاف اسمها «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب».

(٢) محي الدين شيخ زاده له حاشية على تفسير البيضاوي، كتبها على سبيل الإيضاح والبيان للمبتدئ.

(٣) وبهامشه «النهر الماد من البحر» له أيضًا.



- ٥- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري.
- ٦- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، للمحدث الأديب محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي السوسي المغربي، وبذيله «أعذب الموارد في تخريج جمع الفوائد» للسيد عبد الله هاشم اليماني المدني.
- ٧- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي.
- ٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي.
- ٩- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي.
- ١٠- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.
- ١١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي.
- ١٢- مقدمة في التفسير، لحسن البنا.
- ١٣- روائع البيان تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي الصابوني.
- ١٤- النبوة والأنبياء، لمحمد علي الصابوني.
- ١٥- متن الجوهرة في التوحيد، لبرهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني<sup>(١)</sup>.
- ١٦- الحكم لابن عطاء الله السكندري<sup>(٢)</sup>.
- ١٧- تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي<sup>(٣)</sup>.



- (١) كتاب جوهرة التوحيد مختصر في العقيدة الأشعرية، انظر في الرد عليه: «ملاحظات على البيجوري، في شرح جوهرة التوحيد»، لعمر بن محمد أبو عمرو.
- (٢) ابن عطاء الله السكندري هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل، وهو من أهل التصوف الغلاة، يسير على الطريقة الشاذلية، وهو من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد ادّعى عليه عند السلطان، وألّب عليه السفهاء، توفي سنة ٧٠٩ هـ. وكتاب «الحكم الإلهية» قد تتبع ما فيه من ضلالات الشيخ محمود مهدي الإستانبولي رَحِمَهُ اللهُ، وذلك في كتابه الماتع «كتب ليست من الإسلام» (٩١-١٠١)، ومن تلك الضلالات: أ. أقوال يؤيد فيها نظرية وحدة الوجود القائلة بأن الخالق والمخلوق واحد، ومثلها نظرية الاتحاد والحلول، وكل ذلك كفر. ب. أقواله في النهي عن دعاء الله، مما يصادم أصول الشريعة. ج. أقوال تشجع على تعطيل المواهب والعزائم وتدعو إلى التماوت وترك التدبير.
- (٣) الشريف الرضي شيعي متعصب، قال عنه الذهبي: «رافضي جلد». [انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣/٥٢٣)].



#### ٤ - اعتقاد الأئمة الأربعة<sup>(١)</sup>

إن عقيدة الأئمة الأربعة هي العقيدة الجديرة بأن تجمع المسلمين على كلمة سواء وتعصمهم من التفرق في الدين لأنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فاعتقاد الأئمة الأربعة - أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله - هو ما نطق به الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وليس بين هؤلاء الأئمة والله الحمد نزاع في أصول الدين بل هم متفقون على الإيمان بصفات الرب وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان، بل كانوا ينكرون على أهل الكلام من جهمية وغيرهم ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية والمذاهب الكلامية.

فعقيدة هؤلاء الأئمة الأربعة هي العقيدة الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة من منبع صاف لا تشوبه شائبة التأويل والتعطيل أو التشبيه أو التمثيل.

#### من أقوال الإمام أبي حنيفة رحمه الله في التوحيد:

##### أولاً: عقيدته في توحيد الله وبيان التوسل الشرعي وإبطال التوسل البدعي:

١ - قال أبو حنيفة رحمه الله: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ...».

٢ - وقال أبو حنيفة رحمه الله: «يكراه أن يقول الداعي أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام»<sup>(٢)</sup>.

(١) باختصار من: اعتقاد الأئمة الأربعة، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس.

(٢) قال الإمام الشاطبي - رحمه الله -: «وَأَمَّا كَلَامُ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُمْ - وَإِنْ أَطْلَقُوا الْكَرَاهِيَةَ فِي الْأُمُورِ الْمَنْهِي عَنْهَا - لَا يَعْنُون بِهَا كَرَاهِيَةَ التَّنْزِيهِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا هَذَا اصْطِلَاحٌ لِلْمُتَأَخِّرِينَ حِينَ ارَادُوا أَنْ يَفَرُقُوا بَيْنَ الْقَبِيلَيْنِ. فَيُطْلَقُونَ لَفْظَ الْكَرَاهِيَةِ عَلَى كَرَاهِيَةِ التَّنْزِيهِ فَقَطْ، وَيَخْصُصُونَ كَرَاهِيَةَ التَّحْرِيمِ بِلَفْظِ التَّحْرِيمِ وَالْمَنْعِ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ السَّلَفِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِهِمْ فِيمَا لَا نَصَّ فِيهِ صَرِيحًا أَنْ يَقُولُوا: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ. وَيَتَحَامَوْنَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ خَوْفًا فِيمَا فِي الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، وَحَكَى مَالِكٌ عَمَّنْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى. فَإِذَا وَجَدْتَ فِي كَلَامِهِمْ فِي الْبِدْعَةِ أَوْ غَيْرِهَا: أَكْرَهُ هَذَا، وَلَا أَحِبُّ هَذَا، وَهَذَا مَكْرُوهٌ. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ التَّنْزِيهِ فَقَطْ» (الاعتصام (٢/ ٥٣٧ - ٥٣٨). وقال الإمام ابن القيم: «قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: «لَمْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ وَلَا مِنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا، وَلَا أَدْرَكَتْ أَحَدًا أَقْتَدِي بِهِ يَقُولُ فِي شَيْءٍ: هَذَا حَلَالٌ، وَهَذَا حَرَامٌ، وَمَا كَانُوا يَجْتَرُّونَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَقُولُونَ: نَكْرَهُ كَذَا، وَنَرَى هَذَا حَسَنًا؛ فَيَنْبَغِي هَذَا، وَلَا نَرَى هَذَا»، وَرَوَاهُ عَنْهُ عَتِيقُ بْنُ يَعْقُوبَ، وَرَأَى: «وَلَا يَقُولُونَ حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ، أَمَّا سَمِعْتُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ آذَنَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا﴾ [يونس: ٥٩]، الْحَلَالُ: مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». قُلْتُ (القائل الإمام ابن القيم): =

### ثانياً: قوله في إثبات الصفات والرد على الجهمية:

- ١- قال رَحِمَهُ اللهُ: «لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السُّنَّة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال: غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونَصَفُهُ كما وصف نفسه أحدٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، حيٌّ قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه ووجهه ليس كوجوه خلقه».
- ٢- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وله يد ووجه ونفس، كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال».
- ٣- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه برأيه شيئاً تبارك الله وتعالى رب العالمين».
- ٤- ولما سُئِلَ عن النزول الإلهي قال رَحِمَهُ اللهُ: «ينزل بلا كيف».
- ٥- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء».
- ٦- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه».
- ٧- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يشبه شيئاً من الأشياء من خلقه ولا يشبه من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته».
- ٨- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وصفاته بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرويتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا».
- ٩- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين».

= «وَقَدْ غَلِطَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ عَلَى أَئِمَّتِهِمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ، حَيْثُ تَوَرَّعَ الْأَئِمَّةُ عَنْ إِطْلَاقِ لَفْظِ التَّحْرِيمِ، وَأَطْلَقُوا لَفْظَ الْكَرَاهَةِ، فَنفَى الْمُتَأَخِّرُونَ التَّحْرِيمَ عَمَّا أَطْلَقَ عَلَيْهِ الْأَئِمَّةُ الْكَرَاهَةَ، ثُمَّ سَهَّلَ عَلَيْهِمْ لَفْظُ الْكَرَاهَةِ وَخَفَّتْ مُؤَنَّتُهُ عَلَيْهِمْ فَحَمَلَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى التَّنْزِيهِ، وَتَجَاوَزَ بِهِ آخَرُونَ إِلَى كَرَاهَةِ تَرْكِ الْأَوَّلَى، وَهَذَا كَثِيرٌ جِدًّا فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ؛ فَحَصَلَ بِسَبَبِهِ غَلْطٌ عَظِيمٌ عَلَى الشَّرِيعَةِ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ». ثم ذكر الإمام ابن القيم أمثلة كثيرة منها قول الإمام أحمد: «لَا يُعْجِبُنِي أَكْلُ مَا ذُبِحَ لِلزَّهْرَةِ وَلَا الْكَوَاكِبِ وَلَا الْكَيْسَةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ ذُبِحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِئَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]. فَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَالَ: «لَا يُعْجِبُنِي» فِيمَا نَصَّ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - عَلَى تَحْرِيمِهِ، وَاحْتَجَّ هُوَ أَيْضًا بِتَحْرِيمِ اللَّهِ لَهُ فِي كِتَابِهِ [انظر: إعلام الموقعين (١/ ٤٠ - ٤١)]. ومما يوضح كلام الإمامين الشاطبي والنووي أن الإمام الترمذي قال في سننه: «بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ إِيْتَانِ الْحَائِضِ»، وذكر فيه قول رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ». [سنن الترمذي (١/ ١٩٩)، والحديث صحيحه الألباني]. فهل يُعقل أن يستدل الإمام الترمذي بالحديث على الكراهة التنزيهية؟!!

- ١٠ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ومن وصف الله بمعاني البشر فقد كفر» .
- ١١ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض» .
- ١٢ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ومتكلمًا بكلامه والكلام صفة في الأزل» .
- ١٣ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «ويتكلم لا ككلامنا» .
- ١٤ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ، أنزل» .
- ١٥ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «والقرآن غير مخلوق» .

### ثالثًا: أقوال الإمام أبي حنيفة في القدر:

- ١ - جاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة يجادله في القدر فقال له: «أما علمت أن الناظر في القدر كالناظر في عيني الشمس كلما ازداد نظرًا ازداد تحيرًا» .
- ٢ - يقول الإمام أبو حنيفة: «وكان الله تعالى عالمًا في الأزل بالأشياء قبل كونها» .
- ٣ - وقال: «يعلم الله تعالى المعدوم في حالة عدمه معدومًا ويعلم أنه كيف يكون إذا أوجده، ويعلم الله تعالى الموجود في حال وجوده موجودًا ويعلم كيف يكون فناؤه» .
- ٤ - يقول الإمام أبو حنيفة: «وقدره في اللوح المحفوظ» .
- ٥ - وقال: «ونقر بأن الله تعالى أمر بالقلم أن يكتب فقال القلم، ماذا أكتب يا رب؟ فقال الله تعالى: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup> لقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (٥٢)» .
- ٦ - وقال الإمام أبو حنيفة: «ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته» .
- ٧ - وقال: «نقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقًا فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة» .
- ٨ - وقال: «جميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم والله تعالى خالقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره» .
- ٩ - قال الإمام أبو حنيفة: «وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله تعالى خلقها وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، والطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى وبمحبة وبرضاه وعلمه ومشيئته وقضائه وتقديره، والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته لا بمحبته ولا برضائه ولا بأمره» .

(١) قال ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ أَكْتُبْ. قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ أَكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

١٠ - وقال: «وهو الذي قدر الأشياء وقضاها ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ» .

#### رابعاً: أقوال الإمام أبي حنيفة في الإيمان:

قال رحمه الله: «الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان والإقرار وحده لا يكون إيماناً» .

#### خامساً: قول الإمام أبي حنيفة في الصحابة رضي الله عنهم:

١ - قال الإمام أبو حنيفة: «ولا نذكر أحداً من صحابة رسول الله إلا بخير» .  
٢ - وقال رحمه الله: «ولا نتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نوالي أحداً دون أحد» .

٣ - وقال رحمه الله: «مقام أحدهم مع رسول الله ﷺ، ساعة واحدة خير من عمل أحدنا جميع عمره وإن طال» .

٤ - وقال رحمه الله: «ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ: أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين» .

#### عقيدة الإمام مالك بن أنس:

أولاً: قوله في التوحيد:

١ - عن جعفر بن عبد الله قال: «كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله، الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته. فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: كيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة». وأمر به فأخرج.

٢ - وقال رحمه الله: الله في السماء وعلمه في كل مكان» .

ثانياً: قوله في القدر:

١ - أخرج ابن أبي عاصم عن سعيد بن عبد الجبار قال: «سمعت مالك بن أنس يقول: رأيي فيهم أن يستأبوا فإن تابوا وإلا قتلوا - يعني القدرية -»<sup>(١)</sup> .

٢ - وعن مروان بن محمد الطاطري قال: (سمعت مالك بن أنس يسأل عن تزويج القدري؟ فقرأ: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١] ... » .

٣ - وقال القاضي عياض: «قال مالك: لا تجوز شهادة القدري الذي يدعو، ولا الخارجي والرافضي» .

(١) أي من لا يؤمنون بالقدر.

ثالثاً: قوله في الإيمان:

١ - عن عبد الرزاق بن همام قال: «سمعت ابن جريج وسفيان الثوري ومعمربن راشد وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» .

٢ - وقال رحمه الله: «الإيمان قول وعمل» .

رابعاً: قوله في الصحابة رضي الله عنهم:

١ - قال الإمام مالك بن أنس: من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ [الحشر: ١٠]. فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له في الفيء حق» .

٢ - عن رجل من ولد الزبير قال: «كنا عند مالك فذكر وارجلاً يتنقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ﴾ - حتى بلغ - ﴿يُعِجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]. فقال مالك: (من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابته الآية)» .

### عقيدة الإمام الشافعي:

أولاً: قوله في التوحيد:

١ - قال الشافعي في كتابه الرسالة: «والحمد لله ... الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه» .

٢ - وقال رحمه الله: «ثبتت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة ونفني التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]» .

٣ - وقال رحمه الله: «من قال القرآن مخلوق فهو كافر» .

ثانياً: قوله في القدر:

قال رحمه الله: «إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين، فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم وهي خلق من خلق الله تعالى أفعال العباد وإن القدر خير به وشره من الله عز وجل، وإن عذاب القبر حق، ومسألة أهل القبور حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة والنار حق، وغير ذلك مما جاءت به السنن» .

ثالثاً: قوله في الإيمان:

١ - قال رحمه الله: «الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب» .

٢ - وقال رحمه الله: «سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» .

## رابعاً: قوله في الصحابة:

١ - قال رَحِمَهُ اللهُ: «أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنأهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سُنَن رسول الله ﷺ، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامّاً وخاصّاً وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سُنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم» .

٢ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رضي الله عنهم -» .

٣ - عن يوسف بن يحيى البويطي قال: «سألت الشافعي أصلي خلف الرافضي؟ قال: لا تصل خلف الرافضي ولا القدري ولا المرجعي، قلت: صفهم لنا، قال: من قال: الإيمان قول فهو مرجعي، ومن قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري» .

## عقيدة الإمام أحمد بن حنبل:

## أولاً: قوله في التوحيد:

١ - قال رَحِمَهُ اللهُ: «لم يزل الله عز وجل متكلماً، والقرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق، ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه عز وجل» .

٢ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «من زعم أن الله لا يتكلم فهو كافر» .

٣ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحُدُّه أحد، فصفات الله منه وله وهو كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار» .

٤ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر مكذب بالقرآن» .

## ثانياً: قوله في القدر:

١ - قال رَحِمَهُ اللهُ: «ويؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومُمرّه من الله» .

٢ - وقال رَحِمَهُ اللهُ: «والقدر خيره وشره وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه وممره، ومحبو به ومكروهه، وحسنه وسيئته، وأوله وآخره من الله قضاء قضاءه على عباده وقدر قدره، ولا يعدو واحد منهم مشيئة الله عز وجل ولا يجاوز قضاءه» .

## ثالثاً: قوله في الإيمان:

١ - قال رَحِمَهُ اللهُ: «الإيمان يزيد وينقص» .

٢- وقال رَحِمَهُ اللهُ: الصلاة والزكاة والحج والبر من الإيمان والمعاصي تُنْقِصُ الإيمان».

رابعاً: قوله في الصحابة:

١- قال رَحِمَهُ اللهُ: «ومن السُّنَّةِ ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم أجمعين، والكفُّ عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ، أو أحداً منهم فهو مبتدع، رافضي خبيث، لا يقبل الله منه صرفاً، ولا عدلاً، بل حبه سُنَّةٌ، والدعاء لهم قربة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة».

ثم قال: «ثم أصحاب رسول الله ﷺ، بعد الأربعة خير الناس، ولا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه».

٢- وقال عبد الله بن أحمد: «سألت أبي عن الأئمة فقال: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي».

٣- وقال عبد الله بن أحمد: «سألت أبي عن قوم يقولون: إن علياً ليس بخليفة، قال هذا قول سوء ردي».

٤- وقال رَحِمَهُ اللهُ: «من لم يثبت الخلافة لعلي فهو أضلُّ من حمار أهله».



### ٥- قواعد في الأسماء والصفات<sup>(١)</sup>

أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به؛ مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير؛ فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر، أما الصفات؛ فهي نُعُوت الكمال القائمة بالذات؛ كالعلم والحكمة والسمع والبصر؛ فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ويقال: الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم.

ولمعرفة ما يُميز الاسم عن الصفة، والصفة عن الاسم أمور، منها:  
أولاً: أن الأسماء يشتق منها صفات، أما الصفات؛ فلا يشتق منها أسماء، فنشتق من أسماء الله الرحيم والقادر والعظيم، صفات الرحمة والقدرة والعظمة، لكن لا نشق من صفات الإرادة والمجيء والمكر اسم المريد والجائي والماكر،

ثانياً: أن الاسم لا يُشتق من أفعال الله؛ فلا نشق من كونه يحب ويكره ويغضب اسم المحب والكاره والغاضب، أما صفاته؛ فنشتق من أفعاله فنثبت له صفة المحبة والكراهة والغضب ونحوها من تلك الأفعال، لذلك قيل: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

ثالثاً: أن أسماء الله عزَّ وجلَّ وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها،<sup>(٢)</sup> لكن تختلف في التبعيد والدعاء، فَيُتَعَبَّدُ الله بأسمائه، فنقول: عبد الكريم، وعبد الرحمن، وعبد العزيز، لكن لا يُتَعَبَّدُ بصفاته؛ فلا نقول: عبد الكرم، وعبد الرحمة، وعبد العزة؛ كما أنه يُدعى الله بأسمائه، فنقول: يا رحيم! ارحمنا، يا كريم! أكرمنا، يا لطيف! الطف بنا، لكن لا ندعو صفاته فنقول: يا رحمة الله! ارحمنا، أو: يا كرم الله! أو: يا لطف الله! ذلك أن الصفة ليست هي الموصوف؛ فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفة لله، وكذلك العزة، وغيرها؛ فهذه صفات لله، وليست هي الله، ولا يجوز التبعيد إلا لله، ولا يجوز دعاء إلا الله؛ لقوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، وقوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وغيرها من الآيات.

### قواعد عامة في الصفات:

القاعدة الأولى: إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه، أو أثبتته له رسوله ﷺ؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

لأن الله أعلم بنفسه من غيره، ورسوله ﷺ أعلم بالخلق بربه.

القاعدة الثانية: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، مع اعتقاد ثبوت كمال ضده الله تعالى.

(١) باختصار من: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، للشيخ علوي بن عبد القادر السقاف.

(٢) فيجوز أن نحلف ونستعبد بالله وأسمائه وصفاته فنقول: والله والرحمن وهكذا، وكذلك يجوز أن نقول: نعوذ بالله، ونعوذ بالرحمن، ونعوذ بعزة الله وقدرته.



لأن الله أعلم بنفسه من خلقه، ورسوله أعلم الناس بربه؛ فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته، ونفي الظلم يتضمن كمال عدله، ونفي النوم يتضمن كمال قيوميته.

القاعدة الثالثة: صفات الله عز وجل توقيفية؛ فلا يثبت منها إلا ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ، ولا ينفي عن الله عز وجل إلا ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ.

لأنه لا أحد أعلم بالله من نفسه تعالى، ولا مخلوق أعلم بخالقه من رسول الله ﷺ.

القاعدة الرابعة: التوقف في الألفاظ المجملة التي لم يرد إثباتها ولا نفيها، أما معناها؛ فيستفصل عنه، فإن أريد به باطل ينزّه الله عنه؛ رد، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله؛ قبل، مع بيان ما يدل على المعنى الصواب من الألفاظ الشرعية، والدعوة إلى استعماله مكان هذا اللفظ المجمل الحادث.

مثاله: لفظة (الجهة): نتوقف في إثباتها ونفيها، ونسأل قائلها: ماذا تعني بالجهة؟ فإن قال: أعني أنه في مكان يحويه. قلنا: هذا معنى باطل ينزّه الله عنه، ورددناه. وإن قال: أعني جهة العلو المطلق؛ قلنا: هذا حق لا يمتنع على الله. وقبلنا منه المعنى، وقلنا له: لكن الأولى أن تقول: هو في السماء، أو في العلو؛ كما وردت به الأدلة الصحيحة، وأما لفظة (جهة)؛ فهي مجملة حادثة، الأولى تركها.

القاعدة الخامسة: كل صفة ثبتت بالنقل الصحيح؛ وافقت العقل الصريح، ولا بد.

القاعدة السادسة: قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

القاعدة السابعة: صفات الله عز وجل تثبت على وجه التفصيل، وتنفي على وجه الإجمال.

فالإثبات المفصل؛ كإثبات السمع والبصر وسائر الصفات، والنفي المجمل كنفي المثلية في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

القاعدة الثامنة: كل اسم ثبت لله عز وجل؛ فهو متضمن لصفة، ولا عكس.

مثاله: اسم الرحمن متضمن صفة الرحمة، والكريم يتضمن صفة الكرم، واللطيف يتضمن صفة اللطف... وهكذا، لكن صفاته: الإرادة، والإتيان، والاستواء، لا نشق منها أسماء، فلا نقول: المريد، والآتي، والمستوي وهكذا القاعدة التاسعة: صفات الله تعالى كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

القاعدة العاشرة: صفات الله عز وجل ذاتية وفعليّة، والصفات الفعلية متعلقة بأفعاله، وأفعاله لا تنتهي لها، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

القاعدة الحادية عشرة: دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة: إما التصريح بها، أو تضمّن الاسم لها، أو التصريح بفعل أو وصف دال عليها. مثال الأول: الرحمة، والعزة، والقوة، والوجه، واليدين، والأصابع... ونحو ذلك.

مثال الثاني: البصير متضمن صفة البصر، والسميع متضمن صفة السمع.. ونحو ذلك.  
مثال الثالث: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾: دال على الاستواء، ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾: دال على الانتقام... ونحو ذلك.

القاعدة الثانية عشرة: صفات الله عز وجل يستعاذ بها ويحلف بها.  
ومنها قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ». (رواه مسلم).  
القاعدة الثالثة عشرة: الكلام في الصفات كالكلام في الذات.  
فكما أن ذاته حقيقية لا تشبه الذوات؛ فهي متصفة بصفات حقيقية لا تشبه الصفات، وكما أن إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، كذلك إثبات الصفات.  
القاعدة الرابعة عشرة: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.  
فمن أقر بصفات الله؛ كالسمع، والبصر، والإرادة، يلزمه أن يقر بمحبة الله، ورضاه، وغضبه، وكرهيته.

القاعدة الخامسة عشرة: ما أضيف إلى الله مما هو غير بائن عنه؛ فهو صفة له غير مخلوقة، وكل شيء أضيف إلى الله بائن عنه؛ فهو مخلوق؛ فليس كل ما أضيف إلى الله يستلزم أن يكون صفة له.

مثال الأول: سمع الله، وبصر الله، ورضاه، وسخطه...

ومثال الثاني: بيت الله، وناقة الله...

القاعدة السادسة عشرة: صفات الله عز وجل وسائر مسائل الاعتقاد تثبت بما ثبت عن رسول الله ﷺ، وإن كان حديثاً واحداً، وإن كان آحاداً.  
القاعدة السابعة عشرة: معاني صفات الله عز وجل الثابتة بالكتاب أو السنة معلومة، وتفسر على الحقيقة، لا مجاز ولا استعارة فيها البتة، أمّا الكيفية؛ فمجهولة.  
القاعدة الثامنة عشرة: ما جاء في الكتاب أو السنة، وجب على كل مؤمن القول بموجبه والإيمان به، وإن لم يفهم معناه.

القاعدة التاسعة عشرة: باب الأخبار أوسع من باب الصفات، وما يطلق عليه من الأخبار؛ لا يجب أن يكون توقيفياً؛ كالقديم، والموجود، والشيء، والذات<sup>(١)</sup>، ولا يقال إن من أسماء الله الشيء، والذات، أو إن من أسمائه القديم، والموجود.  
القاعدة العشرون: صفات الله عز وجل لا يقاس عليها.  
فلا يقاس السخاء على الجود، ولا الجكد على القوة، ولا الاستطاعة على القدرة، ولا

(١) والأفضل والأسلم في باب الأخبار أن يُصار إلى اللفظ الوارد في الكتاب والسنة عند وجود مثل هذا اللفظ، فنقول: الأول بدل القديم، ونقول: الآخر بدل الأزلي والأبدي والتعبير بالمنصوص أولى وأحرى.

الرقعة على الرحمة والرأفة، ولا المعرفة على العلم... وهكذا؛ لأن صفات الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتجاوز فيها التوقيف؛ كما مر في القاعدة الثالثة.

القاعدة الحادية والعشرون: صفات الله عَزَّ وَجَلَّ لا حصر لها؛ لأن كل اسم يتضمن صفة - كما مر في القاعدة الثامنة -، وأسماء الله لا حصر لها، فمنها ما استأثر الله به في علم الغيب عنده.



## ٦- أسباب النزول وقواعد وأصول

إن معرفة أسباب نزول أي القرآن من أجل علومه وأشرف مقاصدها؛ لأنه يعين على فهم معناها، ولهذا فقد أشكلت آيات على بعض الصحابة فمن دونهم حتى استبان لهم سبب نزولها؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فقد وضح لهم أبو أيوب الأنصاري - (رضي الله عنه) - سبب نزولها؛ فعرفوا تفسيرها؛ فاستبان لهم معناها<sup>(١)</sup>.

ولا يعني هذا: أن يلتمس الإنسان لكل آية سبباً؛ فإن القرآن لم يكن نزوله وقفاً على الحوادث والوقائع أو على السؤال والاستفسار، بل كان القرآن يتنزل ابتداءً بعقائد الإيمان، وواجبات الإسلام، وشرائع الله - تعالى - في حياة الفرد وحياة الجماعة. فالقرآن نزل على قسمين: قسم نزل ابتداءً، وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال.

### ١- ما هو سبب النزول؟

سبب النزول هو: ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال.

فسبب النزول يكون قاصراً على أمرين:

أحدهما: أن تحدث حادثة فينزل القرآن الكريم بشأنها كما في سبب نزول ﴿تَبَّتْ يَدَايِي لَهَبٍ﴾ كما سيأتي إن شاء الله.

الثاني: أن يُسأل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه كما في سبب نزول آية اللعان.

وسبب النزول هو ما نزلت الآية أيام وقوعه؛ وعلى هذا فسورة الفيل ليس من سبب نزولها قصة قدوم الحبشة؛ فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية؛ كذكر قصة قوم نوح، وعاد، وثمود، وبناء البيت، ونحو ذلك.

### ٢- ما يعتمد عليه في معرفة سبب النزول؟

والعلماء يعتمدون في معرفة سبب النزول على صحة الرواية عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة، فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحاً لا يكون بالرأي، بل يكون له

(١) عن حذيفة: ﴿وَأَنفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؛ قَالَ: نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ (رواه البخاري). (نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ): أَي: فِي تَرْكِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالرُّومُ مُلْصِقُوا ظُهُورَهُمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ، فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: «إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعَسَرِ الْأَنْصَارِ، لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، فَلَمَّا لُحِقَ لَهُمْ نَقِيمٌ فِي أَمْوَالِنَا، وَنُصَلِّحُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَنفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فَأَلْقَاءُ بِأَيْدِينَا إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نَقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصَلِّحُهَا، وَنَدْعَ الْجِهَادَ» قَالَ أَبُو عُمَرَ: فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ (رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني).

حكم المرفوع. وقد تقرر في علوم الحديث: أن سبب النزول حكمه حكم الحديث المرفوع؛ لا يقبل منه إلا الصحيح المتصل المسند، لا ضعيف ولا مقطوع. وقد كان السلف الصالح - رضي الله عنهم - يتورعون أن يقولوا في القرآن أو تفسيره أو أسباب نزوله دون علم أو تثبت خوفاً من الوقوع في وعيد قول الرسول ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (حديث متواتر، رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

### ٢- قد تتعدد الأسباب والنازل واحد:

كما في آية اللعان وغيرها من الآيات<sup>(١)</sup>. إذا جاءت روايتان في نازل واحد من القرآن وذكرت كل من الروائتين سبباً صريحاً غير ما تذكره الأخرى، نُظِرَ فيهما: فإما أن تكون إحداهما صحيحة والأخرى غير صحيحة. وإما أن تكون كلتاها صحيحة، ولا مرجح لأحدهما على الأخرى، ولكن يمكن الأخذ بهما معاً.

وإما أن تكون كلتاها صحيحة ولإحداهما مرجح. وإما أن تكون كلتاها صحيحة ولا مرجح ولا يمكن الأخذ بهما معاً. فتلك صور أربع لكل منها حكم خاص نسوقه إليك: أما الصورة الأولى: وهي ما صحت فيه إحدى الروائتين دون الأخرى؛ فحكمها الاعتماد على الصحيحة في بيان السبب، ورُدُّ الأخرى غير الصحيحة. أما الصورة الثانية: وهي صحة الروائتين كليهما، ولإحداهما مرجح؛ فحكمها أن نأخذ في بيان السبب بالراجحة دون المرجوحة، والمرجح أن تكون إحداهما أصح من الأخرى، أو أن يكون راوي إحداهما شاهداً للقصة دون راوي الأخرى. وأما الصورة الثالثة: وهي ما استوت في الروائتين في الصحة، ولا مرجح لإحداهما، لكن يمكن الجمع بينهما، بأن كلاً من السببين حصل، ونزلت الآية عقب حصولهما معاً؛ لتقارب زمنيتهما، فحكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تعدد السبب؛ لأنه الظاهر، ولا مانع يمنعه. وأما الصورة الرابعة: وهي استواء الروائتين في الصحة دون مرجح لإحداهما ودون إمكان للأخذ بهما معاً لبعده الزمان بين الأسباب؛ فحكمها أن نحمل الأمر على تكرار نزول الآية بعدد أسباب النزول التي تحدثت عنها هاتان الروائتان أو تلك الروايات؛ لأنه إعمال لكل رواية ولا مانع منه.

(١) انظر الروايات الصحيحة في ذلك في «الاستيعاب في بيان الأسباب» (٢/ ٥٤٦ - ٥٥٤).

#### ٤- قد تتعدد الآيات النازلة والسبب واحد:

كما في حديث المسيب رضي الله عنه في شأن وفاة أبي طالب وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لأستغفرن لك ما لم أنه عنه» فأنزل الله ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٥٠﴾. ونزل في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ٥١﴾<sup>(١)</sup>.

#### ٥- صيغة سبب النزول إما أن تكون صريحة في السببية وإما أن تكون محتملة:

فتكون نصاً صريحاً إذا قال الراوي سبب نزول هذه الآية كذا أو إذا أتى بفاء تعقيمية داخلية على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال كما إذا قال حدث كذا أو سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كذا فنزلت الآية.

فهاتان صيغتان صريحتان في السببية.

وتكون الآية محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الأحكام إذا قال الراوي نزلت هذه الآية في كذا فذلك يراد به تارة أنه سبب النزول وتارة أنه داخل في معنى الآية.

وكذا إذا قال أحسب هذه الآية نزلت في كذا أو ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في كذا فإن الراوي بهذه الصيغة لا يقطع بالسبب فهاتان صيغتان تحتلمان السببية وغيرها.

#### ٦- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

والدليل على ذلك أن الأنصاري الذي قبل الأجنبية ونزلت فيه ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ٥٢﴾ الآية، فعن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فأنزل الله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النُّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ٥٣﴾. فقال الرجل يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْ هَذَا قَالَ «لَجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ» (رواه البخاري ومسلم).

#### فوائد معرفة أسباب النزول:

لمعرفة أسباب النزول فوائد أهمها:

١- بيان أن القرآن نزل من الله تعالى وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عن الشيء، فيتوقف عن الجواب أحياناً، حتى ينزل عليه الوحي، أو يخفى الأمر الواقع فينزل الوحي مبيناً له.

٢- بيان عناية الله تعالى برسوله صلى الله عليه وآله وسلم في الدفاع عنه، مثال ذلك آيات الإفك؛ فإنها دفاع عن فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتطهير له عما دنسه به الأفاكون.

٣- معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن على الوجه الصحيح، وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات في تفسيرها ما لم يعرف سبب نزولها.

مثال ذلك: قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴿البقرة: ١٥٨﴾، أي يسعى بينهما، فإن ظاهر قوله ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أن غاية أمر السعي بينهما، أن يكون من قسم المباح، وفي صحيح البخاري عن عاصم بن سليمان قال سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن الصفا والمروة، قال: «كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وبهذا عرف أن نفي الجناح ليس المراد به بيان أصل حكم السعي، وإنما المراد نفي تحرجهم بامساكهم عنه، حيث كانوا يرون أنهما من أمر الجاهلية، أما أصل حكم السعي فقد تبين بقوله ﴿وَمِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

٤- بيان الحكمة التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة، وفي ذلك فائدة للمؤمن وغير المؤمن: أما المؤمن: فيزداد إيماناً وبصيرة بحكمة الله في تشريعه؛ فيدعوه ذلك إلى شدة التمسك بها. وأما غير المؤمن: فيعلم أن الشرع قام على رعاية المصلحة، وجلب المنفعة، ودفع المضرة، فيدعوه ذلك إن كان منصفاً إلى الدخول في الإسلام.

فمثلاً إذا عرفنا سبب تحريم الخمر؛ عرفنا الحكمة في التحريم؛ إذ أنها توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتذهب العقل والوقار، وتضر بالصحة وتفني الأموال في غير طائل.

٥- بيان عناية الله تعالى بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غمومهم فيأتي الفرج الإلهي، وذلك كسبب نزول آية التيمم، وقصة الثلاثة الذين خَلَفُوا، وكقصة الإفك وما حصل لنبي الهدى من الأذى بسببه وكذا لأم المؤمنين إذ بكت حتى ظن أبواها أن البكاء فالتق كبدها. فيأتي الفرج بعد الشدة. وكقصة هلال بن أمية إذ رمى زوجته بالزنى فقال له الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: البينة أو حد في ظهرك فقال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولنزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فأراد الرسول أن يأمر بضربه فأنزل الله آية اللعان وأبر قسمه وأتى بالعلاج بعد تفاقم الداء فخاب وخسر من ظن أنه يستطيع أن يستغني عن هذا التشريع الحكيم.

٦- الاستفادة من مراحل التشريع في الدعوة، فتجد في أسباب النزول الكثير الطيب من بيان مراحل الدعوة والتوجيهات الإلهية كآية القتال فإنها لم تنزل إلا بعد أن علم الله أن لهم اقتداراً على القتال.

٧- تثبيت الوحي وتيسير الحفظ والفهم، وتأکید الحكم في ذهن من يسمع الآية إذا عرف سببها.

٨- معرفة اسم من نزلت فيه الآية، وتعيين المُبهم فيها.

## ٧- مناهج المفسرين

هذه التفاسير نقل عن أكثرها الشيخ الصابوني في صفوة التفاسير.

## من التفاسير السلفية:

## ١- ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان في تأويل القرآن»:

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب، (٢٢٤-٣١٠هـ، ٨٣٩-٩٢٣م). إمام المفسرين، ثقة عالم، أحد أئمة أهل السنة الكبار، وتفسيره من أجل التفاسير المأثورة، وأعظمها قدراً، وهو إمام متبع، نصر مذهب السلف واحتج له، والتزم ذكر الروايات بأسانيدھا، ولا يحكم عليها في الغالب، ويذكر الأحكام الفقهية وأقوال العلماء، ويرجح بينها. وهو إمام مجتهد مطلق، يرجع المفسرون إلى قوله، وهم عيال عليه.

يعتني بذكر القراءات ومعانيها، ويرد على الشواذ منها، ويورد الأخبار والقصص عن «كعب الأخبار» و«وهب بن منبه» وغيرهما، ويتعقبها بالنقد في الأغلب، ويحتوي على جمل عظيمة من المعالجات اللغوية والنحوية، حتى اكتسب الكتاب بها شهرة عظيمة، يرجع إلى كلام العرب كثيراً، ويذكر أشعار العرب القديمة، ويستشهد بها، ويعرض كثيراً لمذاهب النحويين، ويرجح الأقوال، ويوجه الأخرى. وهو في تفسيره يبدى رأيه ثم يستشهد عليه بالآثار والأخبار مستعيناً في ذلك بقواعد وأقوال السابقين.

## ٢- منهج ابن كثير في تفسيره «تفسير القرآن العظيم»:

هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي (٧٠٠-٧٧٤هـ). كان ابن كثير من بيت علم وأدب، وتلمذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالماً محققاً ثقة متقناً، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إماماً في التفسير والحديث والتاريخ، سمع من ابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها.

ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها كتاب تفسير القرآن العظيم، وهو من أفضل كتب التفسير لما امتاز به من عناية بالمأثور وتجنب للأقوال الباطلة والروايات المنكرة. يُعتبر هذا التفسير من أشهر ما دُوِّن في التفسير بالمأثور، ويأتي في المرتبة الثانية بعد تفسير ابن جرير الطبري، إذ يعتني بالرواية، يذكر الآيات المتشابهة للآية التي يريد تفسيرها، والأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها. والحافظ ابن كثير سلفي العقيدة، وقد أثبت في التفسير معظم الصفات الإلهية وبيّن فيها مذهب السلف.



وهو يذكر الأحاديث والآثار بأسانيدھا، ويهتم بتصحيح الروايات وتضعيفھا، وذكر الجرح والتعديل في الرواية، يذكر المناقشات الفقهية وأقوال العلماء وأدلتهم عند تفسيره لآيات الأحكام باعتدال، ويحيل على كتب الفقه.

يعرض لذكر القراءات باقتصاد، يمتاز بنقده للإسرائيليات والتحذير منها عموماً، مع نقده لها غالباً عند ذكر شيء منها، وقليلًا ما يعرض للإعراب والنحو والشعر.

ينقل أقوال أهل العلم في مسائل الأحكام، مشفوعة بأدلة كل منهم، ثم يرجح من أقوالهم ما يرى أن الدليل يدعمه، أو أن السياق يؤيده؛ وهو في كل ذلك مقتصد غير مسرف، ومعتدل غير مفرط.

وقد اعتمد في تفسير القرآن الكريم على المأثور؛ فهو أولاً يفسر الآية بآية أخرى، وهو في هذا شديد العناية، وبارعٌ إلى أقصى غاية في سرد الآيات المتناسبة في المعنى الواحد. ثم بعد ذلك يشرع في سرد الأحاديث المتعلقة بالآية المراد تفسيرها، ويبين ما يقبل من تلك الأحاديث وما لا يقبل. ثم يشفع هذا وذاك بذكر أقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أهل العلم، ويرجح ما يراه الأرجح، ويُعرض عن كل نقل لم يصح ثبوته، وعن كل رأي لم ينهض به دليل.

إن أصح الطرق في تفسير القرآن الكريم - حسبما يرى الحافظ ابن كثير - هي: أ - أن يفسر القرآن بالقرآن، وذلك أنه كثيراً ما يكون المجمل في مكان قد بسط في موضع آخر.

ب - فإذا تعذر ذلك فعلى المفسر بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

ج - فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه والحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن.

د - وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عند الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير، وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء ابن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب وأبي العالية والربيع بن أنس والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم فتذكر أقوالهم في الآية.

ومن منهجه - وهو مما امتاز به - أن ينبّه إلى ما في التفاسير من منكرات المرويات الإسرائيلية.

### ٣- منهج البغوي في تفسيره «معالم التنزيل»:

هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء<sup>(١)</sup> البغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر، توفي سنة (٥١٠هـ) وقيل (٥١٦هـ) وقيل بينهما. سلفي العقيدة، له مقدمة مفيدة في كتابه «شرح السنة» بيّن فيها عقيدة السلف في الأسماء والصفات. أما في تفسيره فالغالب عليه فيه الإثبات في الصفات، لكن وقع منه التأويل في بعض الصفات تبعاً للثعلبي وسكت عن البعض وأجمل في البعض.

إن «معالم التنزيل» قد نقل فيه مؤلفه عن مفسري الصحابة والتابعين ومن بعدهم، حاور للصحيح من الأقوال، عارٍ عن الغموض والتكلف في توضيح النص القرآني، مُحلّي بالأحاديث النبوية والآثار الغالب عليها الصحة. وهو مختصر من تفسير الثعالبي، لكنه صان تفسيره عن أقوال المبتدعة والأحاديث الموضوعة.

### ملامح منهج البغوي في التفسير:

١- يتعرض لتفسير الآية الكريمة بلفظ سهل موجز، لا تكلف في لغته ولا تطويل، فهو يكتفي بالوقوف على الكلمة الغريبة ليكشف عن معناها بالرجوع إلى أصلها ومصدرها، مستدلاً بالآيات والأحاديث وما أثر عن الصحابة والتابعين بأقوال أهل اللغة.

٢- يفسر القرآن بالقرآن أو بالحديث أو بأقوال الصحابة، ويستأنس بأقوال التابعين والمجتهدين، وذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضاً فما أجمل في موضع فُصل في موضع آخر، وقد تخصص آية عموم آية أخرى.

إن اعتماد البغوي على السنة في تفسير القرآن الكريم سمة واضحة في تفسيره. فقد جاء تفسيره حافلاً بالأحاديث التي انتخبها، وقلّ أن يورد حديثاً ضعيفاً، وقد نجده يسوق عدة أحاديث عند الآية الواحدة.

٣- يتعرض للقراءات من غير إسراف وذلك حين يجد أن القراءة يترتب عليها تغيير المعنى.

٤- يظهر بوضوح اهتمامه بالآراء الفقهية فكثيراً ما نجده يبسط آراء الفقهاء ويرجح رأي الشافعية وهو من أبرز فقهاءهم، وأحياناً يورد الآراء بدون ترجيح.

٦- يذكر أحياناً بعض الإسرائيليات، ونراه يمر على بعضها - وهي قليلة مقارنة بالتفسير الموجودة بين أيدينا - دون التعقيب عليها.

(١) فراء: صانع الفراء. كان أبوه يعمل الفراء ويبيعها. والفرو: جلود بعض الحيوانات تدبغ ويُتخذ منها ملابس للدفء وللزينة.

#### ٤- منهج القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم»:

من علماء الشام الكبار المحقق المدقق العالم الجليل جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ = ١٨٦٦ - ١٩١٤ م). كان من أقطاب المدرسة السلفية ومن المعجبين بالشيخ ابن تيمية، وتأثر به وتلميذه ابن القيم وهو يهتم اهتماماً واضحاً بكل ما انفرد به من آراء، وقد تأثر بمنهج ابن تيمية في التفسير.

يعتبر تفسير القاسمي مصدراً كبيراً في التعبير عن العقيدة السلفية السمحة السهلة جمع فيه من المباحث والأقوال ما لو جُمع لكان مؤلفاً في مجلدات، فإذا أحببت أن تقرأ تفسيراً كاملاً للقرآن لا تجد فيه خرافة ولا أسطورة ولا شيئاً من الإسرائيليات المذمومة التي حُشيت بها التفاسير فعليك بكتاب القاسمي (محاسن التأويل) الذي فسر به القرآن الكريم تفسيراً يعتبر نموذجاً إلى حد كبير.

والناظر في هذا التفسير يجد أن مؤلفه قد أفرد جزءاً كاملاً مقدمة لتفسيره وفي هذه المقدمة يتجلى منهجه في التفسير بل في التأليف عموماً.

لقد ناقش قضايا عامة وخطيرة فيما يتصل بالتفسير ونقل كثيراً عن مشاهير العلماء في الأصول والتفسير وسائر العلوم القرآنية.

لقد تحدث عن مصادر التفسير وعد أن أصولها أربعة:

الأول: النقل عن النبي ﷺ وعلى المفسر بطريق النقل أن يحذر من الضعيف والموضوع.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي إذ هو المعاصر للتنزيل والفاهم لجو القرآن.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة.

الرابع: التفسير بما يقتضيه معنى الكلام ومفهوم الشرع.

لقد كان القاسمي بوفرة اطلاعه ودقة فهمه وأمانته في النقل ينتقى أجود الأقوال فيما يختص بموضوع بحثه ثم ينقله في كتبه وعلى هذا النهج جرى في تفسيره، فتفسيره أشبه ما يكون بحديقة غناء لا ترى فيها إلا زرعاً ناضراً أو ورداً عاطراً ولا تجد فيه ما يؤذي النفس ويشير الشعور ويمتاز هذا التفسير الجليل زيادة على التحري في النقل وحسن الاختيار والبعد عن الضعيف والموضوع بما يأتي:

١ - العناية بالمعاني اللغوية للمفردات وتوجيه الإعراب في سهولة ويُسر دون تفرع أو تطويل.

٢ - اعتماده في تفسير القرآن على القرآن ثم على السنة الصحيحة ثم على أقوال الصحابة وآراء السلف الصالح.

٣ - اهتمامه بالآيات التي تحتاج إلى بحث وإطالته النفس فيها وذلك أن في القرآن آيات بينة واضحة لا تحتاج إلى بحث لأنها واضحة من ناحية المعنى.

وفي القرآن آيات واضحة ولكن بعض المفسرين قد حاول إثارة الجدل فيها أو أخطأ في فهمها أو فسرهما باسرائيليات أو انحرفت بها الأهواء على أي وضع كانت ويشتد اهتمام مفسرنا بمثل هذه الآيات، شارحاً ومبيناً ومحققاً للحق وكاشفاً لزيغ الباطل. وينقل في سبيل ذلك عن القدماء ما يؤيد فكرته ويتخذ من هذا التأييد كمصدر أول - القرآن نفسه فإنه يفسر بعضه بعضاً ويتخذ كذلك الأحاديث الصحيحة الشريفة عن رسول الله ﷺ كمصدر آخر ثم ينقل عن العلماء القدامى وعن العلماء المحدثين ما يؤيد وجهة نظره، وهي في الأغلب الأعم وجهة نظر سليمة.

#### ٤ - اهتمامه بذكر وجوه القراءات.

ومن المعالم البارزة في هذا التفسير اعتناء المفسر بالربط بين الآيات المختلفة والكشف عن مظاهر الحكمة في ترتيب القرآن.

ومما يلاحظ على القاسمي في تفسيراته إن استمداده من ابن كثير بلغ حداً كبيراً. إنه يكاد يشبه تفسير ابن كثير في كثير من الموضوعات في صورة تكاد تكون متقنة.. ومع ذلك فإن هذا التشابه القوي بينه وبين ابن كثير لا ينزله عن أصالته فإن هذا التشابه آت من اتحاد الرأي وتشابه الأفكار لا من النقل والتقليد.

والخلاصة أن الكتاب نخبة ممتازة يضم الأفكار القيمة والآراء الصحيحة في كل ما يتصل بالتفسير<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً: من تفاسير المعتزلة:

٥ - منهج الزمخشري في تفسيره «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»<sup>(٢)</sup>:

الزمخشري هو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ، ١٠٧٤ - ١١٤٣ م). من أئمة متأخري المعتزلة، وهو من علماء اللغة والتفسير. وقد تعرض تفسير الزمخشري لانتقاد جمع من الأئمة؛ بسبب النهج الاعتزالي في تفسيره. ومن تلك الانتقادات:

١ - أن تفسيره محشو بالبدع، وعلى طريقة المعتزلة من القول بخلق القرآن وإنكار

(١) تنبيه: هناك كتاب منسوب للقاسمي اسمه «تاريخ الجهمية» شكك بعض أهل العلم في نسبته إليه لما فيه من التعارض الشديد مع كتابه الكبير «محاسن التأويل». وقد بين في تفسيره (٣/٤٥٧ - ٤٥٨) ضلال ابن عربي وابن سيعين والقنوي ونحوهم من أهل وحدة الوجود والحلول والاتحاد القائلين إن وجود كل مخلوق هو عين وجود الخالق، واصفاً هذا القول بالكفر.

(٢) لشرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي حاشية على تفسير الكشاف اسمها «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب».

الصفات الإلهية، ورؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وأن الله خالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة.

٢- احتوائه على الأحاديث الموضوعة.

وهذا التفسير لا يُنصح به طالب العلم الذي لم يتضلع من علم العقيدة وفهم منهج السلف الصالح الذي قرره أئمة أهل السنة والجماعة.

**ثالثاً: من تفاسير الأشاعرة، ومن قلدهم في تأويل الصفات الإلهية:**

وهذه التفاسير لا يُنصح بها طالب العلم الذي لم يتضلع من علم العقيدة وفهم منهج السلف الصالح الذي قرره أئمة أهل السنة والجماعة.

٦- منهج ابن الجوزي في تفسيره: «زاد المسير في علم التفسير»:

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، (٥٠٨هـ - ٥٩٧، ١١١٦ - ١٢٠١م). برز في الحديث والوعظ والتفسير والتاريخ وغيرها من أصناف العلوم الدينية، ووصل فيها إلى مرتبة مشهورة.

عمد ابن الجوزي إلى كتب الذين سبقوه في التفسير فأشبعها دراسة واستفاد من الثغرات التي كانت في تفاسيرهم، ووضع تفسيره هذا مخلّصاً إياه من التطويل المملّ ومن الاختصار المخلّ. وقال في مقدمة كتابه: «... أني نظرت في جملة من كتب التفسير فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه، وصغير لا يستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد، عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل وشرح غير الغريب، فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطويًا على العلم الغزير، ووسمته بـ «زاد المسير في علم التفسير».

فجاء كتابه وسطاً بين التفاسير الطويلة والمختصرة الشديدة الاختصار، مع تميّزه بجملة من الخصائص، إضافة إلى أسلوب ابن الجوزي السلس المتين والسهل الممتنع. ومن هذه الخصائص أنه تحدّث عن نزلت بعض الآيات فيهم، وذكر القراءات المشهورة والشاذة أحياناً، وتوقف عند الآيات المنسوخة والتي اختلف العلماء حولها أمّنسوخة هي أم لا؟ وأورد أقوال العلماء بهذا الصدد، بالإضافة إلى ردّه كل قول إلى مصدره معتمداً على علماء اللغة مثل: ابن قتيبة وأبي عبيدة والخليل بن أحمد الفراهيدي وعلى النحاة مثل: القراء والزجاج والأخفش والكسائي ومحمد بن القاسم النحوي وعلى القراء مثل: الجحدري وعاصم وغيرهم.

ويعد تفسير ابن الجوزي من التفاسير التي تنقل أقوال السلف بدون أسانيد.

أما عقيدته في الأسماء والصفات فقد كان مضطرباً فيثبت بعض الصفات وينفي بعضها.

### ٧- منهج ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»:

هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي (٤٨١ - ٥٤٢ هـ = ١٠٨٨ - ١١٤٨ م).

لخص ابن عطية تفسيره مؤلفه من كتب تفاسير المنقول كلها، وتحرى ما هو أقرب للصحة منها، ويفسر الآية بعبارة عذبة سهلة، وينقل عن ابن جرير كثيراً. يورد الأقوال المأثورة دون ذكر الأسانيد، ويختار منها من غير إكثار لها، ويقدر يضعف بعضها، يذكر أقوال الفقهاء من السلف، ويوجهها ويختار منها ما يراه صواباً، يعرض كثيراً للقراءات، ويُنزل عليها المعاني المختلفة. ينقل بعض الإسرائيليات عن «ابن منبّه» و«السدي» وغيرهما، ويتعقب بعضها بالتضعيف. له اهتمام كبير بالصناعة النحوية، ويعتني بذكر الشواهد الأدبية للعبارة.

أما عقيدة ابن عطية في تفسيره في الصفات فهو مؤول أشعري يدافع عن التأويل الأشعري ويحتج له، وهو في نقله عن السلف لا ينقله على وجهه، بل يخالفه ويذكر خلافه، ويزعم أنه قول المحققين ويعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطريق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة.

### ٨- منهج الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» أو «التفسير الكبير»:

هو محمد بن عمر بن الحسين بن علي المشهور بفخر الدين الرازي، (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ، ١١٥٠ - ١٢١٠ م). ولد في مدينة الري واليه نسبته بالرازي. كان فريد عصره ومتكلم زمانه جمع كثيراً من العلوم ونبع فيها، فكان اماماً في التفسير والكلام والعلوم العقلية وعلوم اللغة، ولقد اكتسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة، فكان العلماء يقصدونه من البلاد ويشدون إليه الرحال من مختلف الاقطار.

يُعد (مفاتيح الغيب) من أطول التفاسير القديمة التي وصلتنا، بل هو من أطول كتب التفسير القديمة والحديثة، وأكثرها تفصيلاً وعرضاً للآراء، ومناقشة للمعتقدات والمذاهب المختلفة. إن منهجية الفخر الرازي في التفسير لا نجد لها نظيراً في التفاسير الأخرى. فلقد اعتمد التفصيل إلى أقصى قدر ممكن في كل آية من آيات القرآن الكريم. حيث جزأ الآية الواحدة إلى أصغر وحدة كلامية يمكن أن تستقل بالمعنى، وتناولها في عدد من المسائل، ثم يجعل من المسألة الواحدة مباحث لفروع تفصيلية، يُعبر عنها تارة (بالأقوال) وأخرى (بالوجوه) وثالثة (بالأمور) وغير ذلك من التقسيمات. وكل قسم من هذه التقسيمات قابل للتفريع والتفصيل. ويرى بعض الباحثين أن فخر الدين الرازي اعتمد في تفسيره على منهجين: الأول: ما فسر فيه سورة الفاتحة وهي منهجية مطولة جداً تتناول الآية من كافة جوانبها. والثاني: المنهجية

التي فسر بها القرآن الكريم ابتداءً من سورة البقرة وحتى آخر آية من سورة الناس. ويرى هذا البعض من الباحثين أن الرازي لو اعتمد منهجيته في تفسير سورة الفاتحة، في تفسير القرآن الكريم لاحتاج الى مئات المجلدات.

ولكن يرى بعض الباحثين أن الفخر الرازي اعتمد منهجية واحدة في تفسيره. وإذا كان قد استغرق في الحديث عن سورة الفاتحة فلأن لها خصوصيتها المتميزة وفضائلها الكثيرة. ولا نجد مفسراً من المفسرين إلا وقد أطل الحديث عنها بشكل يميزها عن بقية سور القرآن. والناظر في هذا التفسير الكبير يجد أموراً هامة تلفت النظر وتشد الانتباه منها:

١ - الاهتمام بذكر المناسبات بين سور القرآن وآياته وبعضها مع بعض حتى يوضح ما عليه القرآن من ترتيب على الحكمة «تنزيل من حكيم حميد».

٢ - كثرة الاستطراد إلى العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعة وغيرهما.

٣ - الفخر الرازي في تفسيره لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها مع ترويجه لمذهب الشافعي الذي كان يتابعه هو في عبادته ومعاملاته.

٤ - ويضيف الرازي إلى ما سبق كثيراً من المسائل في علوم: الأصول والبلاغة والنحو وغيرها، وإن كانت هذه المسائل في مجموعها بعيدة عن الإطناب والتوسع كما هو الحال في المسائل الكونية والرياضية والفلسفية بوجه عام.

والذي يظهر لقارئ هذا التفسير - فوق ما تقدم - أن مؤلفه رَحِمَهُ اللهُ كان مولعاً بكثرة الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره، إضافة إلى توسُّعه في ذكر مسائل الكون والطبيعة، ولأجل هذا، فقد قلَّ البعض من قيمة هذا الكتاب، كتفسير للقرآن الكريم، بل وصل الأمر ببعضهم بأن وصف هذا التفسير بقوله: «فيه كل شيء إلا التفسير» وهذا القول قد يكون فيه شيء من المبالغة.

ولكثير من العلماء والمحققين العديد من المآخذ على هذا التفسير؛ كتوسُّعه في ذكر مسائل علم الكلام، والعلوم الطبيعية والرياضية، التي لا علاقة لها بموضوع التفسير إلا بشيء غير يسير من التكلف والتأويل البعيد، والتعرض لمثل هذه الأمور مما يجعل عنه كتاب الله سبحانه.

إن الرازي رَحِمَهُ اللهُ تعالى من أئمة الأشاعرة وعلماء الكلام الذين جانبوا منهج أهل السنة والجماعة في كثير من أبواب الاعتقاد، ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرازي وأمثاله: «أوتُوا ذكاً ولم يُؤْتُوا زكاً». ولقد تصدى له رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «بيان تلبس الجهمية» وبين أحواله وتناقضه وقواعده التي أسس عليها بنيانه وهي أوهن من بيت العنكبوت، كما خصص له جزءاً كبيراً من كتابه «درء تعارض العقل والنقل».



ويعتبر تفسير الرازي مرجعاً كبيراً في علم الكلام عموماً وفي العقيدة الأشعرية خصوصاً، ثم إنه انشغل بذكر أقوال المعتزلة المذمومة والرد عليها، إلا أن رده لم يكن كافياً ولا شافياً، فقد قال الحافظ ابن حجر - كما في «لسان الميزان»: «وكان يعاب بإيراد الشبهة الشديدة، ويقصر في حلها، حتى قال بعض المغاربة: «يورد الشبهة نقداً ويحلها نسيئة».

وأورد ابن حجر في «لسان الميزان» أيضاً عن الرازي في تفسيره أنه يورد شبهات المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الضعف.

ثم إن الرازي في تفسيره أكثر من الاستطراد في الفلسفة والعلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة، وعرض كثيراً لأقوال الفلاسفة بالرد والتفنيد، ولكنه كان يصوغ أدلته على نمط استدلالهم العقلية لا على الطريقة السلفية المرضية.

والرجل لم يكن عالماً بعقيدة السلف الصالح تخط في باب الأسماء والصفات تخطاً شديداً ولقب القائلين بمذهب السلف بلقب «المجسمة».

وليُعلم أن الرازي في خواتيم حياته قد منَّ الله تعالى عليه بالتوبة من اعتقاده الفاسد وبالرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح من أئمتنا، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره «أضواء البيان»: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْفَخْرَ الرَّازِيَّ الَّذِي كَانَ فِي زَمَانِهِ أَعْظَمَ أُمَّةِ التَّأْوِيلِ - رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ الْمَذْهَبِ إِلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ مُعْتَرِفًا بِأَنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ هِيَ اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ.

وَقَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ «أَقْسَامُ اللَّذَاتِ»: لَقَدْ اخْتَبَرْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، فَلَمْ أَجِدْهَا تَرْوِي غَلِيلاً، وَلَا تَشْفِي غَلِيلاً، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، أَفْرَأَ فِي الْإِبْتَاتِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [٥١٢٠]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [١٠١٣٥]، وَفِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [١١٤٢]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [٦٥١١٩]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجَرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي. اهـ.

وَقَدْ بَيَّنَّ هَذَا الْمَعْنَى فِي أَبْيَاتِهِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

وَعَايَةُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَالَالٌ	نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عَقَالٌ
وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالٌ	وَأَرْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا
سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلٌ وَقَالَ	وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمْرِنَا
	إِلَى آخِرِ الْأَبْيَاتِ <sup>(١)</sup> .

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٢٩٦).

«وَكَذَلِكَ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ، كَانَ فِي زَمَانِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْقَائِلِينَ بِالتَّأْوِيلِ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ، وَبَيَّنَّ أَنَّ =



وقد ترك الرازي وصيةً شهيرة أوردتها الكثير من المصادر التاريخية. وهذه الوصية استكتبها الرازي في الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ٦٠٦ هجرية، وذكرها السبكي في «طبقات الشافعية» (٣٧/٥ - ٣٨)، وفيها رجوعه إلى مذهب السلف الصالح، وبراءته من كتبه التي فيها ما يخالف العقيدة السلفية.

#### ٩- منهج القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي (٦٠٠ - ٦٧١ هـ، ١٢٠٤ - ١٢٧٣ م). من كبار المفسرين، يتضمّن تفسيره نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات، والردّ على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما يذكره من الأحكام ونزول الآيات.

والقرطبي مؤوّل أشعري، واعتمد في نقله في الأسماء والصفات على أئمة الأشاعرة، كـ«الجويني» و«الباقلائي» و«الرازي» و«ابن عطية» وغيرهم، وفيه مواضع ردّ فيها على أهل التصوّف، وأنكر أقوالهم وأفعالهم المخالفة للشرع.

يكثر من إيراد الأحاديث النبوية، مع عزوها، ويسوقها بلا إسناد غالباً، يستفيض في آيات الأحكام الفقهية، ويذكر مسائل الخلاف مع الأقوال وأدلتها، حتى كأنه كتاب فقه؛ وهو منصف، لا يتعصب لمذهبه المالكي.

يعرض لذكر القراءات باقتصاد، وترك كثيراً من قصص وأخبار المؤرخين، إلا ما لا بدّ

= الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ. وَقَالَ فِي كِتَابِهِ: إِنْجَامُ الْعَوَامِّ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ: «اعْلَمْ أَنَّ الْحَقَّ الصَّرِيحَ الَّذِي لَا مَرَاءَ فِيهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصَائِرِ - هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ، أَغْنَى الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْبُرْهَانَ الْكَلِّيَّ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ فِي مَذْهَبِ السَّلَفِ وَحْدَهُ يَنْكَشِفُ بِتَسْلِيمِ أَرْبَعَةِ أَصُولٍ مُسَلِّمَةٍ عِنْدَ كُلِّ عَاقِلٍ. ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الْأَوَّلَ مِنْ تِلْكَ الْأَصُولِ الْمَذْكُورَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ أَعْرَفُ الْخَلْقِ بِصَلَاحِ أَحْوَالِ الْعِبَادِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ. الْأَصْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ بَلَغَ كُلُّ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ صَلَاحِ الْعِبَادِ فِي مَعَادِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ شَيْئًا. الْأَصْلُ الثَّالِثُ: أَنَّ أَعْرَفَ النَّاسِ بِمَعَانِي كَلَامِ اللَّهِ وَأَحْرَاهُمْ بِالْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِهِ هُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ لَا زَمُّهُمْ وَحَضْرُوهُمُ التَّنْزِيلَ وَعَرَفُوا التَّأْوِيلَ. وَالْأَصْلُ الرَّابِعُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي طُولِ عَصْرِهُمْ إِلَى آخِرِ أَعْمَارِهِمْ مَا دَعَوْا الْخَلْقَ إِلَى التَّأْوِيلِ، وَلَوْ كَانَ التَّأْوِيلُ مِنَ الدِّينِ أَوْ عِلْمُ الدِّينِ لَا قَبْلَ لَهُ عَلَيْهِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَدَعَوْا إِلَيْهِ أَوْلَادَهُمْ وَأَهْلَهُمْ. ثُمَّ قَالَ الْغَزَالِيُّ: وَبِهَذِهِ الْأَصُولِ الْأَرْبَعَةُ الْمُسَلِّمَةُ عِنْدَ كُلِّ مُسْلِمٍ نَعْلَمُ بِالْقَطْعِ أَنَّ الْحَقَّ مَا قَالُوهُ وَالصَّوَابُ مَا رَأَوْهُ». انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ. وَلَا شَكَّ أَنَّ اسْتِدْلَالَ الْغَزَالِيِّ هَذَا لِأَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ هُوَ الْحَقُّ - اسْتِدْلَالٌ لَا شَكَّ فِي صِحَّتِهِ، وَوُضُوحٌ وَجْهِ الدَّلِيلِ فِيهِ، وَأَنَّ التَّأْوِيلَ لَوْ كَانَ سَائِعًا أَوْ لَا زَمًا لَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ، وَلَقَالَ بِهِ أَصْحَابُهُ وَتَابِعُوهُمْ كَمَا لَا يَخْفَى. وَذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ عَنِ الْغَزَالِيِّ أَنَّهُ رَجَعَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ إِلَى تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَحَفِظَ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ وَالْإِعْتِرَافَ بِأَنَّ الْحَقَّ هُوَ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مَاتَ وَعَلَى صَدْرِهِ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ». [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٩٦/٧)].

منه، يعرض للإعراب، ويبين الغريب من ألفاظ القرآن، يُكثر من الاستشهاد بأشعار العرب، ويحتكم كثيراً إلى اللغة.

#### ١٠- منهج البيضاوي في تفسيره «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»<sup>(١)</sup>:

هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، (؟ - ٦٩١ هـ، ؟ - ١٢٩٢ م). كان عارفاً بالفقه والتفسير وأصول الفقه وأصول الدين والعربية والمنطق وكان عالماً بفنون المناظرة وآداب المناقشة، صالح السلوك، مجتهداً في العبادة، زاهداً في متاع الدنيا الفاني، شافعي المذهب.

والمتمأمل في تفسيره يجد أنه قد نحا فيه نحو الاختصار، وركز فيه الأفكار، ووجه الأنظار إلى ما تشتمل عليه الآيات في كثير من نواحي الإعراب والفقه والأصول ونحو ذلك، معتمداً على ما سبقه من التفاسير كتفسير الكشاف والرازي ونحوهما. أما مذهبه في تفسيره في الأسماء والصفات فهو على مذهب الأشاعرة في تأويل الصفات إلا في الاستواء فقد حكى فيه الخلاف، والرؤية والمعية.

#### ١١- منهج النسفي في تفسيره «تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل»:

هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، نسبة إلى بلدة نسف ببلاد السند. كان مولده في النصف الأول من القرن السابع، وتوفي سنة عشر وسبعمائة للهجرة (٧١٠ هـ). كان عالماً أصولياً وفقهياً على طريقة المذهب الحنفي، ألّف العديد من الكتب في الفقه الحنفي وأصوله. كما كان محدثاً ومفسراً ولغوياً وعالماً من علماء القراءات، ويبدو ذلك واضحاً في تصانيفه. من غلاة المؤوّلة، أوّل جميع الصفات بلا استثناء.

تفسيره ليس بالطويل المُول، ولا بالقصير المخل، وقد اختصره من تفسيري البيضاوي والزمخشري. لكن أسلوبه يعلو على مستوى العامة، حيث حشد فيه ألواناً من العلوم المتعلقة بالقرآن لا يفهمها إلا من عنده فكرة سابقة عنها. لم يتوسع في الإعراب، ولم يخلُ تفسيره من الإشارة إلى المذاهب الفقهية في بعض آيات الأحكام، والانتصار لمذهبه الحنفي، فقد كان النسفي من أئمة المذهب الحنفي وفقهائه.

يعرض النسفي في تفسيره أنواع القراءات المتواترة والشاذة، بقدرٍ يدل على معرفة تامة بها. فالمتواترة يلتزم بها وينسبها إلى أصحابها في غالب الأحيان، أما القراءة الشاذة فيصرح بشذوذها دون أن ينسبها لأصحابها، إلا إذا كانت متعلقة بالمعنى أو المسألة الفقهية التي يسعى إليها.

ولم يسلم تفسيره من الإسرائيليات رغم احتياطه وتحفظه وإقلاله منها، وابتعاده ما استطاع عنها، وأحياناً يعتمد ذكر بعض الروايات أحياناً أخرى، ليبين أنها خرافات وإسرائيليات يسعى

(١) محي الدين شيخ زاده له حاشية على تفسير البيضاوي، كتبها على سبيل الإيضاح والبيان للمبتدئ.

أصحابها من خلالها إلى تشكيك المسلمين في أمر دينهم، خصوصاً تلك التي تمس العقيدة وتتناهى مع عصمة الأنبياء. وما عدا ذلك؛ فإنه في الغالب، لا يعقب على الروايات الإسرائيلية التي أوردتها.

### ١٢- منهج ابن جرّي في تفسيره: «التسهيل لعلوم التنزيل»:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الكلبي (٦٩٣-٧٤١هـ = ١٢٩٤-١٣٤٠م)، فقيه مالكي، عالم بالأصول والتفسير واللغة، من أهل غرناطة. وتفسيره تفسيرٌ مختصر وجيز جامع، من غير إخلال، لخصه من كتب التفسير المختلفة الطويلة، بعد تمحيصها وتنقيح فصولها وحذف فضولها، وأضاف إليها فوائد عديدة غريبة، ونكت عجيبة من كتب شتى، قلّما توجد في كتاب، لأنها من عنده أو من شيوخه أو ما سطره في دفاتره. جعله سهلاً على الطالبين، قريباً من الراغبين، واهتم بإيضاح المشكلات وبيان المجملات، وتحقيق أقوال المفسرين، وتمييز الراجح من المرجوح. ويمتاز تفسيره بالسهولة واليسر مع حسن الترتيب والتنقيح، وقد يذكر فوائد بعض الآيات مرتبة، وقد يتوسع في بعض المسائل.

يذكر الأحاديث مختصرة وبدون أسانيد، ولا يعزوها لمخرجيها، ولم يتوسع في إيراد الأحاديث وأسباب النزول، بل يشير إليها أحياناً ولا يسوقها. يهتم بذكر مذهب مالك، ويقارن بينه وبين مذهب أبي حنيفة والشافعي وغيرهما، وينقل الإجماع إن وجد، ومسلكه في ذلك مسلك وسط، لا طويل ممل ولا قصير مخل. يهتم بذكر القراءات، ويبين معانيها وألفاظها وما تدل عليه. يذكر بعض الإسرائيليات عن «وهب بن مُنبّه» و«السُّدي» وغيرهما، وأحياناً يذكر معانيها ويصرّح بضعفها، ويصدرها أحياناً بقوله: رُوي. وتجد في كتابه الكثير من المواعظ وآداب السلوك والأخلاق، وعليه في بعضها مؤاخذات. وابن جرّي مؤوّل لأغلب الصفات، ومُفوّض لبعضها، وفيه نزعة صوفية، وعليه في بعضها مؤاخذات.

### ١٣- منهج الخازن في تفسيره «الباب التأويل في معاني التنزيل»:

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الشحيحي البغدادي الصوفي المعروف بالخازن، (٦٧٨-٧٤١هـ = ١٢٨٠-١٣٤١م). كان فقيهاً شافعيّاً مؤرخاً عالمّاً بالتفسير والحديث، وسمي بالخازن لأنه كان خازن كتب خانقاه السيمسائية بدمشق<sup>(١)</sup>. وتفسير الخازن مختصر من تفسير البغوي مع إضافات، وقد أكثر فيه من ذكر الإسرائيليات،

(١) خازن: متعهد أو مسئول الخزّن، الذي يتولّى حفظ المال وغيره وإنفاقه.

وأخذ كثيراً من تفسير الثعلبي فيما يتعلق بالأخبار، وله عناية بذكر ما يتعلق بالمواعظ والرفائق مما بهذب الأخلاق ويقوي العزائم ويزهّد في الدنيا ويرغب في الآخرة ويزكّر بالله تعالى واليوم الآخر.

أما عقيدته في الأسماء والصفات فهو مؤوّل في كثير من الصفات، ومثبت في قليل منها مثل الإتيان والمجيء، ويذكر في بعض الصفات مذهب السلف والخلف ولكن بدون ترجيح.

### ومن مزايا هذا التفسير:

١- رده على بعض مفتريات وشبهات الفرق المبتدعة من المعتزلة والخوارج والمرجئة والرافضة وغيرهم. وفيه عناية بآيات الأحكام وذكر خلاصة الحكم فيما يورده من المسائل دون التوسع غالباً في التفرعات الفقهية والخلافات المذهبية وقد يعقد الفصول لذلك.

٢- اعتماده أسلوب الترجيح أو التصحيح أو الجمع لكثير من الخلافات والوجوه التي يوردها وإن كان ذلك ليس مطرداً في تفسيره

٣- تتبعه لأخطاء بعض المفسرين وبيان وجه الحق في ذلك.

٤- رده لكثير من الإسرائيليات فينبع القصة ببيان ما فيها من باطل حتى لا ينخدع بها ولا يفتن جاهل. ولكن الخازن رحمه الله تعالى لم يلتزم بمنهجه هذا في جميع تفسيره.

١٤- منهج أبي حيان الأندلسي في تفسيره «البحر المحيط في التفسير»: (١)

هو أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، (٦٥٤ هـ - ٧٤٥ هـ، ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م).

و«البحر المحيط» مرجع مهم لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن، حيث توسّع في مسائل النحو والخلاف بين النحويين، وينقل كثيراً عن «الزمخشري» و«ابن عطية» ويتعقبهما، خصوصاً «الزمخشري» لأرائه الاعتزالية. ويختم تفسيره للآيات بكلام مثور، يشرح به مضمون الآيات على ما اختاره من المعاني باختصار. يتناول الأحكام، وينقل أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم، ويحيل على كتب الفقه، توسّع في مباحث الإعراب والنحو، حتى كأنه كتاب نحو. وفي ختام تفسيره للآيات يذكر ما فيها من علم البيان والبديع، وهو إمام في النحو والعربية؛ يحشر القراءات المتواترة والشاذة، ويذكر توجيهها في علم العربية. وينقل أقوال السلف والخلف في فهم معانيها، ولا يترك كلمة - وإن اشتهرت - إلا ويتكلم عليها، ويبيد ما فيها من غوامض الإعراب، والبديع والبيان.

ويلاحظ من منهج أبي حيان في تفسيره أنه كان في منهجه بعيداً عن أقوال أهل الفلسفة، وبريئاً من مذهب أهل الاعتزال؛ غير أنه - في المقابل - لم يلتزم مذهب أهل السنة والجماعة

(١) وبهامشه «النهر الماد من البحر» له أيضاً.

في مسائل الأسماء والصفات، فهو مؤوّل أشعري، اتخذ «ابن عطية» و«الرازي» و«الباقلائي» عمدة له.

### ١٥- منهج تفسير الجلالين:

سُمّي هذا التفسير بـ «الجلالين» نسبة إلى مؤلّفيه جلال الدين المحلي، (٧٩١ - ٨٦٤ هـ = ١٣٨٩ - ١٤٥٩ م) وجلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م)، وكلاهما مؤوّل للصفات على مذهب الأشاعرة. وقد اشتركا في تفسير القرآن غاية في الإيجاز، وربما كان أوجز تفسير للقرآن.

«تفسير الجلالين» ابتدأه «المحلي» بتفسير سورة الكهف إلى آخر سورة الناس، وابتدأ تفسير سورة الفاتحة، ثم توفّي؛ وأكمّله السيوطي، فابتدأه من سورة الفاتحة إلى سورة الإسراء.

والقارئ لهذا التفسير لا يكاد يلمس فرقا واضحا بين طريقة الشيخين، فيما فسراه، بل لا يكاد يحس بمخالفة بينهما - لا شكلاً ولا مضموناً - في ناحية من نواحي التفسير المختلفة، اللهم إلا في مواضع قليلة لا تكاد تذكر.

و«تفسير الجلالين» تفسير مختصر، وعبارته موجزة، اشتهر بين الناس لسهولة واختصاره. تُذكر فيه الأحاديث وأسباب النزول والآثار عن السلف بلا أسانيد ولا عزو لمصادرٍ غالباً، وأحياناً تُذكر المصادر.

وتُذكر في الأقوال التي رجّحها المفسران من غير تطويل، يقع فيه ذكر الإعراب على وجه مختصر. ينبّه على القراءات المشهورة باختصار.

تُذكر فيه معاني الإسرائيليات دون التنبيه عليها. وقد تتضمن الغرض من بعض الأنبياء (كما في تفسير فتنة داود عليه السلام في سورة ص).

ومما يؤخذ على هذا التفسير أنّ مؤلّفيه لم يلتزما منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الأسماء والصفات، التي أجمع السلف على إثباتها، دون تحريف، أو تعطيل، أو تكييف، أو تمثيل.

ومن الحواشي التي كُتبت على هذا التفسير، حاشية الجمل (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية) لسليمان بن عمر الشهير بالجمل المتوفّي عام ١٢٠٤ هـ، وحاشية الصاوي، وهو أحمد بن محمد الصاوي، وهو مالكي المذهب، وصوفي من كبار الصوفية، (١١٧٥ - ١٢٤١ هـ = ١٧٦١ - ١٨٢٥ م).

وهاتان الحاشيتان متداولتان بين أهل العلم. وتجد فيهما تأويل الصفات على مذهب الأشاعرة، فلم يلتزما منهج أهل السنة والجماعة في مسائل الأسماء والصفات، التي أجمع السلف على إثباتها، دون تحريف، أو تعطيل، أو تكييف، أو تمثيل.

وحاشية الجمل، حاشية مفيدة، على ما فيها من أخطاء في العقيدة، تبعاً للأصل، لكن هي أفضل من حاشية الصاوي، وحاشية الصاوي فيها بعض الكلام الذي لا يسوغ نقله، فضلاً عن ابتدائه. وقد وصل الانحراف فيها إلى القول بأن الأخذ بظاهر القرآن والحديث أصل من أصول الكفر، وإلى إجازة الاستغاثة بغير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل.

#### ١٦- منهج السيوطي في تفسيره «الدر المنثور في التفسير بالمأثور»:

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، والسيوطي نسبة إلى أسيوط مدينة في صعيد مصر. (٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٥ م)، والدر المنثور هو أجمع كتاب للتفسير بالمأثور، لم يُبد فيه السيوطي رأياً، ولم يقل فيه كلمة مفسرة أو جملة شارحة، وإنما التزم التزاماً كاملاً أن يكون تفسيره جمعاً لأحاديث رسول الله ﷺ في الآية وسرداً لبعض أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

وهو في جمعه هذا لم يلتزم صحة الأحاديث والنقل، وإنما خلط فيه بين الصحيح والعليل، ومن أجل ذلك فإن هذا الكتاب الجليل في حاجة ماسة إلى عمل متقن، في التحقيق والتخريج، وبيان الصحيح من الأحاديث والحسن منها والضعيف.

فكتاب «الدر المنثور» كل ما فيه هو سرد الروايات عن السلف في التفسير بدون أن يُعقَّب عليها، فلا يُعَدَّل ولا يُجَرَّح، ولا يُضَعَّف ولا يُصَحَّح، فهو كتاب جامع فقط لما يروى عن السلف في التفسير، أخذه السيوطي من البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي، وأحمد، وأبي داود، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وعبد ابن حميد، وابن أبي الدنيا، وغيرهم ممن تقدّمه ودوّن التفسير.

#### ١٧- منهج أبي السعود في تفسيره «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»:

هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفى، المُفتي والمُفسّر. ولد في إحدى ضواحي القسطنطينية عام ٨٩٨ هـ، تلقى العلوم على يد نخبة من علماء عصره، ومنهم والده، اشتغل بالتدريس، وتولى قضاء القسطنطينية وغيرها من المدن، وتولى بعد ذلك الإفتاء ومكث فيه ثلاثين سنة، توفي أبو السعود ٩٨٢ هـ.

وقد استفاد في تفسيره من تفاسير الزمخشري والبيضاوي والرازي والواحدي والثعلبي والقرطبي والبغوي وغيرها.

أما عقيدته في الأسماء والصفات فهو على عقيدة المؤلّة ما حاد عنها تبع الرازي في تصرفه بل ينقل ترجيحات الرازي ويقرها.

#### ١٨- منهج الشوكاني في تفسيره «فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من التفسير»:

مؤلف هذا التفسير هو العلامة محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ، ١٧٥٩ - ١٨٣٤ م)، تفقه على مذهب الزيدية، وبرع فيه، وألف وأفتى. ثم خلع ربة التقليد،

وتحلَّى بمنصب الاجتهاد، وألَّف رسالة سماها «القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد»، تحامل عليه من أجلها جماعة من العلماء.

وعنوان تفسيره «فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من التفسير» يشرح الطريقة، فهي ليست طريقة التفسير بالمأثور تقتصر على إيراد ما ورد في الآية من الآثار كما فعل السيوطي في تفسيره الذي اقتصر فيه على إيراد ما ورد من المأثورات.

وليس تفسيراً يجعل كلَّ همِّه العقليات كما فعل مثلاً الفخر الرازي وإنما هو تفسير يجمع بين «الرواية والدراية» والرواية، هي إيراد المأثورات والدراية هي ابداء الرأي الشخصي بعد الفهم والتأمل في الآية وما روى عنها.

والشوكاني في تفسيره يذكر الآيات، ثم يفسرها تفسيراً معقولاً ومقبولاً، ثم يذكر بعد الفراغ من ذلك: الروايات التفسيرية الواردة عن السلف، وهو ينقل كثيراً عن ذكر من أصحاب كتب التفسير. ويذكر المناسبات بين الآيات، ويحتكم إلى اللغة كثيراً. وينقل عن أئمتها كالمبرد وأبى عبيدة والفراء، كما أنه يتعرض أحياناً للقراءات السبع، ولا يفوته أن يعرض لمذاهب العلماء الفقهية في كل مناسبة، ويذكر اختلافاتهم وأدلتهم، ويُدلي بدلوه بين الدلاء، فيرجح، ويستظهر، ويستنبط، ويعطى نفسه حرية واسعة في الاستنباط، لأنه يرى نفسه مجتهداً لا يقل عن غيره من المجتهدين.

ويتميز تفسير الشوكاني بالتحذير من البدع المضلة والعقائد المنحرفة والتقليد الأعمى، وقد لقي المؤلف بسبب ذلك إيذاءً وفتناً شتى رَحِمَهُ اللهُ تعالى.

وموقفه من الأسانيد ما ذكره في مقدمة تفسيره من الحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله أو الصحابة أو التابعين أو تابعيهم أو الأئمة المعترين، وأنه قد يذكر ما في إسناده ضعف، وهو يتعقب أحياناً الروايات التي يذكرها ويبين حالها، لكن يؤخذ عليه أنه يذكر أحاديث ضعيفة وموضوعة في مواضع كثيرة ولا ينبه عليها، وهو ينقل من "الدر المنثور" للسيوطي كثيراً.

أما الإسرائيليات فإنه يمتاز عن غيره بقلة إيرادها، بل لا تكاد توجد فيه إلا للرد عليها، فهو من أشد المفسرين انتقاداً لها، ولا يدع فرصة تمر إلا ويوجه نقده اللاذع إليها.

وموقفه من الأحكام الفقهية أنه يذكر مذاهب العلماء الفقهية (الأئمة الأربعة وغيرهم) واختلافاتهم وأدلتهم، ويرجح ويستنبط، فهو إمام مضطلع مجتهد في الفقه، فقد ألَّف فيه مؤلفات، مثل: «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار»، و«السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار»، و«الدر البهية» وشرحها وغيرها.

ولا يدع الشوكاني فرصة تسنح له في تفسيره للتنديد بالتقليد إلا ويشنع فيها على المقلدة.



بل إنك تلحظ أنه لا يمر بآية من القرآن تنعى على المشركين تقليدهم آباءهم إلا ويطبّقها على مقلدي المذاهب الفقهية ويرميهم بأنهم تاركون لكتاب الله تعالى معرضون عن سنة رسوله ﷺ.

والشوكاني في تفسيره يُؤوّل الصفات، إلا صفة الاستواء حاول أن يقرر فيها مذهب السلف، أما سائر الصفات فهو مُؤوّل فيها ينقل فيها عبارة غيره ويسكت عنها، فأوّل صفة الغضب والاستهزاء والحياء والوجه والإتيان والمجيء والمحبة والنفس واليد والفوقية والعين، أما الرؤية فقد أثبت رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة كما أثبتها غيره ردّاً على المعتزلة. وللشوكاني رسالة أسماها «التحف في مذاهب السلف» ذم فيها أهل الكلام وطريقتهم في تقديم العقل على نصوص الكتاب والسنة ومدح فيها مذهب السلف، وحاول فيها تقرير مذهب السلف.

والشوكاني في التوسل لا يجيز التوسل بجاه أحد ولا بشيء لم يرد جوازه في الكتاب أو السنة ويفيض في الإنكار على مَنْ يفعل. وردّ على المعتزلة في إنكارهم لحقيقة وتأثير السحر.

**١٩- منهج الألوسي في تفسيره «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»:**  
الألوسي هو أبو شهاب الدين محمود أفندي الألوسي نسبة إلى قرية اسمها أُلوس، وهي جزيرة في منتصف نهر الفرات بين الشام وبغداد، كانت موطن أجداده، ولد سنة ١٢١٧م في الكرخ من بغداد.

وتفسير الألوسي يعد من التفاسير الصوفية، فقد كان اتجاهه صوفيّاً، وقُلّ ما تفوته مناسبة إلا وبنّه على ما في الآية من التفسير الإشاري، وهو الذي تُؤوّل به الآيات على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي، فبعد أن يُورد فيه تفسير الآيات حسب الظاهر، يشير إلى بعض المعاني الخفية التي تستنبط بطريق الرمز والإشارة.

وتفسيره موسوعة تفسيرية لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير. ينقل عن «ابن عطية» و«أبي حيان» و«الزمخشري» و«أبي السعود» و«البيضاوي» و«الرازي» وغيرهم.

وهو يُدقّق ما ينقله وينقده، ويبدى رأيه فيه، ويستطرد في الكلام على الأمور الكونية، ويذكر كلام أهل الهيئة والحكمة، ويُقرّ ما يرتضيه، ويرد على ما لا يرتضيه، وبطيل النفس في بحوثه. يميل إلى التصوف، وكثيراً ما يفسّر الآيات تفسيراً رمزياً إشارياً، على طريقة المتصوّفة، مع المتابعة لهم في بعض شطحاتهم، وخلع الألقاب العظيمة عليهم، ويصرّح بأسمائهم أحياناً كـ«ابن الفارض» وغيره؛ وفيما يسوقه من «التفسير الإشاري» بلالاً وأوابد، ولهذا عدّه بعضهم من تفسير «الصوفية».

وقد ضم في تفسيره معظم بحوث «الرازي»، مع تقرير مذهب «الأشاعرة»، والانتصار



لهم، والوقية في أئمة السلف، ولهذا عدّه بعضهم من تفاسير «الماتريديّة»، وأحياناً يردّ على الأشاعرة أقوالهم، ويقرّر مذهب السلف، ويفنّد آراء «المعتزلة» و«الشيعة» وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة؛ ولهذا عدّه بعضهم من مفسري السلف. والحقُّ أن الألوسي عنده تردّد بين مذهب السلف والخلف، وتفسيره مزيج بين الاتجاهات الثلاثة.

وقد سلك الألوسي في تفسيره مسلك التفسير اللغوي، حيث يهتم بالتحقيقات اللغوية باعتبارها تفتح أوسع المجالات لفهم آيات الذكر الحكيم. وإذا تكلم عن آيات الأحكام فإنه لا يمر عليها إلا إذا استوفى مذاهب الفقهاء وأدلتهم، مع عدم تعصب منه لمذهب بعينه. كما يستهل الألوسي تفسير السورة بالكلام عنها هل هي مكية أم مدنية وعدد آياتها، ثم يبين وجه مناسبتها للسورة التي قبلها، ويذكر أقوال العلماء في ذلك.

أما طريقته في تفسير السورة فإنه لا يلتزم بنظام معين، بل يعرضها حسب ما يتفق وتبين المراد منها في نظره، فقد يعرض الآية كاملة ثم يفسرها وقد يجزئ بعضها.

أما طريقته في توظيف الحديث الشريف في التفسير، فإنه يحشد في معنى الآية المزمع تفسيرها مجموعة من الأحاديث النبوية الواردة في النص، وقد تكون متعارضة قوةً وضعفاً، فما إن ظهرت قوة أحدها أو مجموعة منها رجحها وعول عليها لتوجيه معنى الآية، وكثيراً ما يلجأ الألوسي إلى أقوال الصحابة لتفسير الآيات، وغالباً يعقب عليها إما توضيحاً أو تعريضاً بأقوال أخرى. وقد يسوق الألوسي قول أحد الصحابة لبيان الناسخ والمنسوخ.

أما موقفه من الإسرائيليات، فيلاحظ عليه أنه شديد النقد للإسرائيليات، والأخبار المكذوبة التي حشأ بها كثير من المفسرين تفاسيرهم وظنوها صحيحة. أما نهجه في توظيف أقوال التابعين، فإنه يستشهد كثيراً بأقوال التابعين في صدد تبيان مراد الله من آيات كتابه، ولكن منهجه في ذلك ليس دائم القبول، فقد يستبعد قول أحد التابعين إن رآه بعيداً عن المعنى المطلوب، وقد اعتمد على كبار المفسرين من التابعين كمجاهد وقتادة وعكرمة وطاووس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري وسعيد بن جبير ومسروق وغيرهم من العلماء الأجلاء الذين ورثوا أمانة العلم من الصحابة وأدوها أحسن أداء.

واستعمل الألوسي الشعر في تفسيره كثيراً، ولو أراد باحث أن يتقصى ذلك وأن يحصره لضاق ذرعاً، ففي الكتاب عدد كبير من الأبيات الشعرية، وكان يذكر الشعر لأغراض مختلفة، فتارة يذكره لبيان معنى لغوي أو للاستدلال على قاعدة نحوية أو بلاغية. كما نجد الألوسي يولي اهتماماً خاصاً للقراءات المختلفة التي تساعده في استخلاص المعاني.

### وقد اعتمد الألوسي على مجموعة من المصادر منها:

١ - كتب التفسير: كان الألوسي يعرض آراء كثير من المفسرين ويناقشها كتفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن حبان، وتفسير ابن عطية، وتفسير البيضاوي، وتفسير الزمخشري، وتفسير الرازي.

- ٢- كتب الحديث: اعتمد على كثير من المصنفات الحديثية كالبخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه وكتب البيهقي والدارقطني والحاكم.
- ٣- كتب الفقه: أخذ تفسير بعض الألفاظ القرآنية من مؤلفات فقهية لمذاهب مختلفة كمذهب مالك والشافعي والحنفي وغيرهم.



## ٨ - مصطلحات بلاغية

**\* الفصاحة:** عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنهما.

**\* البلاغة:** البلاغة في الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب - مع فصاحة ألفاظه «مفردتها ومركيها». والكلام البليغ: هو الذي يُصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين.

**\* الخبر:** الخبر كلامٌ يحتمل الصدق والكذب لذاته، والمراد: بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر، والمراد بكذبه عدم مطابقته له. والأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين: إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، إذا كان جاهلاً له، وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالمٌ أيضاً بأنه يعلم الخبر.

**\* الإنشاء:** ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء وغيرها.

**\* القصص:** هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. نحو: ما شوقي إلا شاعرٌ، فمعناه تخصيص (شوقي بالشعر) وقصره عليه، ونفي صفة (الكتابة) عنه - (رداً على من ظن أنه شاعرٌ وكاتبٌ) والذي دل على هذا التخصيص هو النفي بكلمة (ما) المتقدمة، والاستثناء بكلمة (إلا) التي قبل الخبر. ولو قلت (شوقي شاعرٌ) بدون (نفي واستثناء) ما فهم هذا التخصيص.

**\* الإيجاز:** هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فهذه الآية القصيرة جمعت مكارم الأخلاق بأسرها.

**\* الإطناب:** زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أو ساط البلاء، لفائدة تقويته وتوكيده - نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٤]، أي: كبرت.

وأنواع الإطناب كثيرة منها: ذكر الخاص بعد العام للتنبية على فضل الخاص: كقوله تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصُّلُوحِ وَالصُّلُوحِ أَلْأَوْسَطُ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وذكر العام بعد الخاص، كقوله تعالى: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نوح: ٢٨]. والإيضاح بعد الإبهام، لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح، فبيده ذلك نبأً وشرفاً، كقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَجٍ يُخْرِجُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ١٠ ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

**\* التشبيه:** هو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض

يقصده المتكلم للعلم، نحو: أَنْتَ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ.

**\* تشبيه التمثيل:** هو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزِعاً من متعددٍ، حسيّاً كان أو غير حسيّ، كقول الشاعر:

وما المرء إلا كالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ      يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ ساطِعُ  
فوجه الشبه سرعةُ الفناءِ انتزَعَهُ الشاعرُ من أحوالِ القمرِ المتعددةِ، إذ يبدو هلالاً، فيصيرُ  
بدرًا، ثم ينقصُ، حتى يدركه المحاقُ.

وتشبيه التمثيل نوعان:

الأول: ما كان ظاهرَ الأداة، نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] فالمشبه: هم الذين حُمِلُوا الثَّورَةَ ولم يعقلوا ما بها: والمشبه به (الحمار) الذي يحملُ الكتبَ النافعةَ، دونَ استفادتهِ منها، والأداة الكافُ، ووجهُ الشبه (الهيئةُ الحاصلةُ من التعبِ في حملِ النافعِ دونَ فائدة).

الثاني: ما كان خفيّ الأداة: كقولك للذي يتردّد في الشيء بين أن يفعلهُ، وألا يفعلهُ (أراك تقدّم رجلاً وتؤخّرُ أخرى)، إذ الأصلُ أراك في ترددك مثل من يقدّم رجلاً مرةً، ثم يؤخّرُها مرةً أخرى، فالأداة محذوفةٌ، ووجهُ الشبه هيئةُ الإقدام والإحجام المصحوبين بالشكِّ.

**\* التشبيه المرسل:** هو ما ذكرت في الأداة، كقول الشاعر:

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ      نَسَجْتَهُ الْعَنْكَبُوتُ

**\* التشبيه المؤكّد:** هو ما حذفته أداؤه، كقول الشاعر:

أَنْتَ نَجْمٌ فِي رِفْعَةٍ وَضِيَاءٍ تَجْتَلِيكَ الْعُيُونُ شَرْقًا وَغَرْبًا

**\* التشبيه البليغ:** هو ما حذف في أداة التشبيه وجه الشبه، نحو قوله تعالى: ﴿هَنَ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

**\* التشبيه الضمني:** هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورةٍ من صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على إمكان ما أُسند إلى المشبه، كقول المتنبي:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجُرْحَ بَمَيِّتٍ إِيْلَامُ

أي أن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمّله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلاً، لأن الميت إذا جرح لا يتألم، وفي ذلك تلميحٌ بالتشبيه في غير صراحةٍ، وليس على صورةٍ من صور التشبيه المعروفة.

**\* التشبيه المقلوب:** التشبيه المقلوب: هو جعل المشبه مشبهاً به بادعاء أن وجه الشبه فيه

أَقْوَى وَأَظْهَرُ. وَيَسْمَى ذَلِكَ بِالتَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ أَوْ الْمَعْكُوسِ، نَحْوُ: كَأَنَّ ضَوْءَ النَّهَارِ جَبِينُهُ، وَنَحْوُ: كَأَنَّ الْمَاءَ فِي الصَّفَاءِ طَبَاعُهُ.

**\* المجازُ العقليُّ:** هو إسنادُ الفعل، أو ما في معناه من اسم فاعل، أو اسم مفعولٍ أو مصدرٍ إلى غير ما هو له في الظاهر، من حال المتكلم، لعلاقةٍ مع قرينةٍ تمنعُ من أن يكون الإسنادُ إلى ما هو له. كقوله: (بنى الأميرُ المدينة) فإنَّ الأميرَ سببُ بناءِ المدينة، لا إنَّه بناها بنفسه.

**\* المجازُ اللغويُّ:** وهو استعمالُ اللفظ في غير ما وضع له لعلاقةٍ، بمعنى مناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ويكون الاستعمالُ لقرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الحقيقي.

**\* المجازُ المرسلُ:** هو الكلمة المستعملة قصدًا في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقةٍ غير (المشابهة) مع قرينةٍ دالةٍ على عدم إرادة المعنى الوضعي.

وله علاقات كثيرة منها:

١- السببية: هي كون الشيء المنقول عنه سببًا ومؤثرًا في غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظُ السبب، وأريد منه المسبب، نحو: رعتِ الماشيةُ الغيثَ - أي النبات، لأنَّ الغيثَ أي (المطر) سببٌ فيه، وقرينته (لفظية) وهي (رعت) لأنَّ العلاقةَ تعتبرُ من جهة المعنى المنقول عنه.

٢- الكلية: هي كون الشيء متضمنًا للمقصود ولغيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظُ الكل، وأريد منه الجزء، نحو: شربتُ ماءَ النيل - والمرادُ بعضُهُ، بقرينةٍ شربتُ.

٣- الجزئية: هي كون المذكور ضمنَ شيءٍ آخر، وذلك فيما إذا ذكر لفظُ الجزء، وأريد منه الكل، نحو: نشرَ الحاكمُ عيونه في المدينة، أي الجواسيس، فالعيونُ مجازٌ مرسلٌ، علاقته (الجزئية) لأنَّ كلَّ عينٍ جزءٌ من جاسوسها - والقرينةُ الاستحالة.

**\* الاستعارة:** هي استعمالُ اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفةٍ عن إرادة المعنى الأصلي، (والاستعارة) ليست إلا (تشبيهًا) مختصرًا، لكنها أبلغُ منه كقولك: رأيتُ أسدًا في المدرسة، فأصلُ هذه الاستعارة «رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة» فحذفت المشبهة «لفظُ رجل» وحذفت الأداة الكاف - وحذفت وجه التشبيه «الشجاعة» وألحقته بقرينة «المدرسة» لتدلَّ على أنك تريد بالأسد شجاعاً.

- الاستعارةُ التصريحية: هي ما صرَّح فيها بلفظ المشبهة به. كقول المتنبي:

وَلَمْ أَرْ قَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَدْرَ نَحْوَهُ      وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تُعَانِقُهُ الْأُسْدُ

فكلمتي البدر والأسد مشبهة به في الأصل، وحذفت المشبهة، فالبدر لا يمشي والأسد لا تعانق.

- الاستعارةُ المكنية: هي ما حذفت فيها المشبهة به ورُمِزَ له بشيء من لوازمه.

كقوله الحجاج بن يوسف في أول خطبة بأهل الكوفة: «أني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها».

فإن الذي يفهم منه أن يشبه الرؤوس بالثمرات، فأصل الكلام إني لأرى رؤوساً كالثمرات قد أينعت، ثم حذف المشبه به فصار إني لأرى رؤوساً قد أينعت، على تخيل أن الرؤوس قد تمثلت في صورة ثمار، ورُمز للمشبه به المحذوف بشيء من لوازمه وهو أينعت، ولما كان المشبه به في هذه الاستعارة محتجباً سميت استعارة مكنية.

### \* تقسيم الاستعارة إلى مطلقة ومرشحة ومجردة:

تنقسم الاستعارة بالنظر إلى اقترانها بما يلائم المستعار منه «وهو المشبه به» أو المستعار له «وهو المشبه» أو عدم اقترانها بشيء من ذلك إلى ثلاثة أقسام:

١- الاستعارة المطلقة: وهي الاستعارة التي لم تقترن عبارتها بأوصاف أو تفريعات أو كلام مما يلائم المستعار منه، أو يلائم المستعار له، باستثناء القرينة الصارفة عن إرادة المعنى الأصلي للفظ المستعار.

مثل: «قطع الأمير رأس الحية الكبرى» بمعنى أنه قطع رأس رئيس عصابة الشر والفساد، إذا كانت قرينة الحال دالة على المراد. فالحية لفظ مستعار للدلالة به على رئيس عصابة الشر والفساد، ويلاحظ أن العبارة لم تقترن بما يلائم لفظ الحية، ولا بما يلائم رئيس عصابة الشر والفساد. هذه الاستعارة استعارة تصريحية مطلقة.

٢- الاستعارة المرشحة: وهي الاستعارة التي اقترنت بما يلائم المستعار منه. وسميت مرشحة لأن ما اقترن بها يعطيها زيادة تقوية للمستعار منه بزيادة أعطية تحتاج زيادة عمل ذهني لكشف إرادة المعنى المجازي الذي استعمل اللفظ للدلالة عليه. مثل أن نقول في المثال السابق: «قطع الأمير رأس الحية الكبرى التي باصت وفرخت صغار الحيات والثعابين وسعت تنهش وتنفت سُمها». هذه العبارة اقترنت بالاستعارة فيها بما يلائم المستعار منه، إذ الحية الحقيقية هي التي تبيض وتفرخ وتنهش وتنفت سُمها. فالاستعارة في هذا المثال استعارة تصريحية مرشحة.

٣- الاستعارة المجردة: وهي الاستعارة التي اقترنت بما يلائم المستعار له. وسميت مجردة لأن المقارنات الملائمات للمستعار له تُجرّد الاستعارة من أعطيتها الساترة، فيظهر المعنى المجازي المراد دون تأمل فكري. كأن نقول في المثال السابق:

«قطع الأمير رأس الحية الكبرى التي جمعت أشرار الناس، وأرادت إفساد المجتمع».

هذه العبارة اقترنت بما يلائم المستعار له الذي هو رئيس عصابة الشر والفساد.

وإذا اجتمع في العبارة المشتملة على الاستعارة الترشيح والتجريد معاً، كانت الاستعارة

في حكم الاستعارة المطلقة.

كقول زهير:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ      لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ  
استعار الأسد للرجل الشجاع، وقد ذكر ما يناسب المستعار له، في قوله: شاكي السلاح مقَدِّفٍ وهو التجريد، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه، في قوله: له لبَدٌ أظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ، وهو الترشيح، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما وسقوطهما، فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة.

\* تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار الأفعال أو المشتقات أو الحروف على النحو التالي:

١- إذا كان اللفظ المستعار «اسماً جامداً لذات» كالبدن إذا استعير للجميل، سميت الاستعارة «أصلية».

٢- إذا كان اللفظ المستعار «فعلاً» أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً أو اسماً مبهماً أو حرفاً فالاستعارة «تصريحية تبعية» نحو: نامت همومي عني.

الكناية: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، نحو: «زيدٌ طويل النجاد» تريد بهذا التركيب أنه شجاعٌ عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة، إلى الإشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادةً، فإذا: المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي، ومن هنا يعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية، دون المجاز، فإنه ينافي ذلك.

وقد يقال: فلان كثير الرماد، أي: مضاف جواد، مع أنه لا يطبخ الطعام لصُيُوفه الكثيرين بنار الحطب الذي يخلف رماداً، إنما يطبخ لهم بالأفران الكهربائية أو الغازية. وبهذا يظهر الفرق بين الكناية والمجاز، فالمجاز لا يصح معه إرادة المعنى الحقيقي للفظ، بل يتعين فيه إرادة المعنى المجازي فقط، مثل: خطب الأسد المغوار خطبة عظيمة في الجيش ألهم بها المشاعر، واستثار الحماسة. فلفظ "الأسد" هنا مجاز عن الرجل الشجاع، ولا يصح أن يراد به معناه الحقيقي، وهو الحيوان المفترس المعروف.

### وتنقسم الكناية بحسب المعنى الذي تشير إليه إلى ثلاثة أقسام:

١- كناية عن صفة: كما تقول: (فلان نظيف اليد) تكتني عن العفة والأمانة، وتعرف كناية الصفة بذكر الموصوف: ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام.

٢- كناية عن موصوف: كما تقول (الناطقين بالضاد) تكتني عن العرب، و (دار السلام) تكتني عن بغداد، و (طيبة) كناية عن المدينة المنورة، وتعرف بذكر الصفة مباشرة، أو



ملازمة، ومنها قولهم: (هو حارسٌ على ماله) كنوا به عن البخيل الذي يجمع ماله، ولا ينتفع به.

**٣- كناية عن نسبة:** الكناية التي يراد بها نسبة أمرٍ لآخر، إثباتاً أو نفيًا فيكون المكنى عنه نسبةً، أسندت إلى ماله اتصالاً به - نحو قولنا عن شخص: (العز في بيته) فإن العز ينسب للشخص وليس للبيت.

**\* الطباق:** هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز، ولو إيهاماً، ولا يشترط كون اللفظين الدالّين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط. والتقابل بين المعاني له وجوه، منها ما يلي:

١- تقابل التناقض: كالوجود والعدم، والإيجاب والسلب.

٢- تقابل التضاد: كالأسود والأبيض، والقيام والقعود.

٣- تقابل التضائيف: كالأب والابن، والأكبر والأصغر، والخالق والمخلوق.

**ينقسم الطباق إلى قسمين طباق إيجاب وطباق سلب:**

**طباق الإيجاب:** هو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، مثل الطباق بين (حلو) و (مر)، و (يقظ) و (نائم).

**طباق السلب:** هو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، بحيث:

أ- يجمع بين فعلين من مصدر واحد، أحدهما مثبت مرةً، والآخر منفي تارةً أخرى، في كلام واحد، مثل الطباق بين (يعلم) و (لا يعلم) في قولنا: «بعض الناس يعلم الكثير عن أمر دينه، ولا يعلم عن أمر دينه إلا القليل».

ب- أو أحدهما أمرٌ، والآخر نهْيٌ، نحو: «صاحب المصلح، ولا تصاحب المفسد».

**\* المقابلة:** هي طباق متعَدّد عناصر الفريقين المتقابلين، وفيها يؤتى بمعنيين فأكثر، ثم يؤتى بما يُقابل ذلك على سبيل الترتيب. قال الشاعر:

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُقْبِلٌ      وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْجَدُّ مُدْبِرٌ  
الْجَدُّ: الحظُّ والنصيبُ من الخير. في هذا البيت مقابلة بين فريقين من المعاني يوجد بين عناصرهما طباق، وهي ثلاث:

الفريق الأول: الجود - يُفني - مُقبل.

الفريق الثاني: البخل - يُبقي - مُدبر.

**\* التورية:** هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان؛ أحدهما قريبٌ غير مقصودٍ ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيدٌ مقصودٌ، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيتوهم السامع: أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه ولا تظهره، وتسره عن غير



المتيقظ الفطن.

وهي تنقسم إلى قسمين:

١- مجردة: وهي التي لم تقترن بما يلائم المعنى القريب، ولا بما يلائم المعنى البعيد: كقول إبراهيم الخليل عليه السلام لما سأله الجبار عن زوجته: فقال «هذه أختي» (رواه مسلم). أراد أخوة الدين.

وكقول سراج الدين الوراق:

أَصُونُ أَدِيمَ وَجْهِي عَنْ      أَنْاسٍ لِقَاءِ الْمَوْتِ عِنْدَهُمُ الْأَدِيبُ  
وَرَبُّ الشَّعْرِ عِنْدَهُمُ      بَغِيضٌ وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمُ حَبِيبُ

كلمة «حبيب» لا يريد بها المعنى القريب وهو المحبوب، بل يريد بها المعنى البعيد، وهو اسم أبي تمام الشاعر: «حبيب بن أوس».

٢- مرشحة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب، وسميت بذلك لتقويتها به، لأن القريب غير مراد، فكأنه ضعيف، فإذا ذكر لازمه تقوى به، نحو:

أَقُولُ وَقَدْ شَنُوءَا إِلَى الْحَرْبِ غَارَةً      دَعُونِي فَإِنِّي أَكُلُ الْعَيْشِ بِالْجُبْنِ

الشاهد فيه: العيش والجبن، فالعيش يعني الخبز ويعني الحياة، والجبن يعني المصنوع من اللبن، ويعني الخور عكس الشجاعة.

**\* التجريد:** أن يتنزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها في المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها بحيث، يمكن أن يتنزع منه موصوف آخر بها، كقولك: لي «من» فلان صديق حميم، أي بلغ فلان من الصداقة حداً صحَّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها. وقولك: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر، بالغ في اتصافه بالسماحة، حتى انتزع منه بحراً فيها. ونحو: (شربت بمائها عسلاً مصفى...). فكأن حلاوة ماء تلك العين الموصوفة وصلت إلى حدٍّ يمكن انتزاع العسل منها حين الشرب.

**\* المشاكلة:** هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته، كقول «عمرو بن كلثوم»: أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

سمي تأديب الجاهل على جهله جهلاً من باب المشاكلة، مع أن التأديب والعقاب ليسا من الجهل. والمراد من الجهل هنا السفه والغضب المنافي للحلم وما ينتج عنه من أعمال غير حميدة. ومن ذلك ما حكى عن أحد الشعراء أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه إلى الصبح في يوم بارد، ويقولون له: ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً؟ وكان فقيراً، ليس له كسوة تقيه البرد، فكتب إليهم يقول:

وَعَصَابَةٌ عَزَمُوا الصَّبُوحَ بِسَحْرَةٍ      بَعَثُوا إِلَيَّ مَعَ الصَّبَاحِ خُصُوصًا  
قَالُوا: اقْتَرَحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا

فطلب طَبْخَ جُبَّةٍ وقميص على سبيل المشاكلة لطلبهم أن يطبخوا له شيئاً يأكله، أي:

خيطوا لي جبةً وقميصاً، فأبدل الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعها في سياق طبخ الطعام. ودلّ بهذا على أنّه بحاجة إلى ما يلبّسه.

**\* اللَّفُّ والنَّشْرُ: الطِّيُّ والنَّشْرُ:** هو أن يذكر متعدّد، ثم يذكر ما لكلّ من أفرادهِ شائعاً من غير تعيين، اعتماداً على تصرف السامع في تمييز ما لكلّ واحد منها، ورده إلى ما هو له، كقول ابن الرومي:

أَرَأَيْتُمْ وَوُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ      فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومَ  
فِيهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِيحُ      تَجْلُو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَّاتِ رُجُومَ  
فالآراء معالم للهدى، والوجوه مصابيح للدُّجَى، والسيوف رجوم.

**\* الجمعُ:** هو أن يجمع المتكلّم بين متعدّد، تحت حكم واحد كقول الشاعر:

**\* التفريقُ:** أن يفرّق بين أمرين من نوع واحد في اختلاف حكمهما، كقول الشاعر:

مَنْ قَاسَ جَدَوَاكَ يَوْمًا      بِالسُّحْبِ أَخْطَأَ مَدْحَكَ  
السُّحْبُ تُعْطِي وَتَبْكِي      وَأَنْتَ تُعْطِي وَتَضْحَكُ  
مَنْ قَاسَ جَدَوَاكَ بِالْغَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ، أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاكُ  
أبداءً، وهو إذا جاد دافع العين .

**\* التقسيمُ:** هو أن يذكر متعدّد، ثم يضاف إلى كلّ من أفرادهِ ما له على جهة التعيين، كقول الشاعر:

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُّ بِهِ      إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ  
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ      وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ<sup>(١)</sup>

**\* الجناسُ:** هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى، الجناس التام نحو: رحبةٌ

رحبةٌ، فرجةٌ الأولى: فناء الدار، ورحبةٌ الثانية: بمعنى واسعة. ونحو قول الشاعر:

أَعَذَبُ خَلْقِ اللَّهِ نُطْقًا وَ(فَمَا)      إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقُّ بِالْحُسْنِ (فَمَنْ)

ونحو قول الشاعر:

إِنْ تُلِقَكَ الْغُرْبَةُ فِي مَعْشَرٍ      قَدْ أَجْمَعُوا فِيكَ عَلَى بُغْضِهِمْ  
فَدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ      وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ  
فدارهم الأولى فعل أمر من المداورة، ودارهم الثانية اسم للبيت، وأرضهم الأولى فعل أمر

(١) الْأَذْلَانُ: مثني الأذل، وهو المهين الحقير. الْعَيْرُ: حمار، حمار وحشي. والمراد هنا الحمار الأهلي، والجمع أعيار. والعير: قافلة الإبل أو الحمير أو البغال يُجلب عليها الطعام وغيره. الْوَتْدُ: ما تُبَتُّ في الأرض أو الحائط من خشب ونحوه، لدعم سور أو تشييت خيمة أو ربط حيوان. والوتد ككتف: ما يسمر في الأرض من الخشب. الرُّمَّةُ: قطعة من الجبل. لَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ: لا أحد يرق ويرأف بحاله ويتوجّع له.

من الإرضاء، وأرضهم الثانية هي الأرض اسم .  
الجناس غير التام: نحو: الْخَيْلُ وَالْخَيْرُ، مفرّ ومقرّ، الهوى مطيئة الهوان . رحم الله امرأ،  
أمسك ما بين فكّيه، وأطلق ما بين كفّيه.

**\* السَّجْعُ:** هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من (النثر)، كقول أعرابي ذهب السَّيْلُ  
بأبنيه: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْلَيْتَ، فَإِنَّكَ طَالَمَا قَدْ عَافَيْتَ». وكقولهم: «الْحَرُّ إِذَا وَعَدَ وَفَى، وَإِذَا  
أَعَانَ كَفَى، وَإِذَا قَدَّرَ عَفَا». وكقولهم: «الْإِنْسَانُ بِآدَابِهِ لَا بِزِيَّهِ وَثِيَابِهِ».

**\* السَّجْعُ الْمُرْصَعُ:** وهو ما اتفقت فيه ألفاظُ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية،  
نحو: «هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرّع الأسماع بزواجر وعظه»، ونحو: «إِنَّ بَعْدَ  
الكَدْرِ صَفْوًا، وَبَعْدَ الْمَطَرِ صَحْوًا».

**\* السَّجْعُ الْمَتَوَازِي:** وهو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط، نحو: «حَسِدَ  
الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت».

**\* التَّرْصِيعُ:** هو توازن الألفاظ، مع توافق الأعجاز، أو تقاربها، مثل قول المتنبي: قَدْ جَرَنَ  
فِي بَشَرٍ فِي تَاجِهِ قَمَرٌ فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمَى أَظْفَرُهُ

حرن تحيرن يعني الأبصار وأراد بالبشر الممدوح، وبالقمر وجهه، وجعله أسداً في الدرع  
لشجاعته، والأظافر جمع أظفار، وقوله تدمى أن تتلطح بالدم بافتراسه أعداءه .  
ومنه قول الشاعر:

هَوَانُ الْحَيَاةِ، وَذُلُّ الْمَمَاتِ      وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا  
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ      فَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا جَمِيلًا  
**\* رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ:** أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَكَلِّمُ أَحَدَ اللَّفْظَيْنِ الْمَكْرَرَيْنِ أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ، أَوْ مَا

هو مُلْحَقٌ بِالْمُتَجَانِسَيْنِ فِي أَوَّلِ الْفَقْرَةِ، وَالْآخِرِ فِي آخِرِهَا مِثْلَ مَا يَلِي:  
١ - قول الله عز وجل خطاباً لرسوله ﷺ بشأن تزوجه من زينب مطلقاً متبناه زيد بن  
حارثة **﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ...﴾**

هذا مثال اللفظين والمكررين.

٢ - قول الله - عز وجل - في حكاية ما قال نوح - عليه السلام - لقومه:  
**﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾**.

هذا مثال اللفظين المتلاقيين في الاشتقاق.

٣ - قول الله - عز وجل - حكاية لما قال لوط - عليه السلام - لقومه:  
**﴿قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْفَالِينَ﴾**.

هذا مثال للفظين المتلاقيين فيما يشبه الاشتقاق.



### أهم مراجع التحقيق<sup>(١)</sup>

أبو حيان الأندلسي ومنهجه في تفسيره البحر المحيط وفي إيراده القراءات فيه، للدكتور أحمد خالد شكري.

أبو حيان وتفسيره البحر المحيط، للدكتور بدر بن ناصر البدر .  
أسباب النزول، لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان.

أسباب النزول، لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول.

أصول في التفسير، للشيخ محمد العثيمين.  
الإبحار في جمع الأسفار، موسوعة تحتوي على تعريف بأكثر من ١٠٠٠ كتاب تهم طالب العلم، للشيخ جمار بن عبد الرحمن الجمار.

الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي.  
الاستيعاب في بيان الأسباب «أول موسوعة علمية حديثة محققة في أسباب نزول أي القرآن الكريم»، لسليم بن عيد الهاللي، ومحمد بن موسى آل نصر.

البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي .  
البلاغة العربية، لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني.

التفسير والمفسرون، للدكتور محمد السيد حسين الذهبي.  
الخلاصة في علوم البلاغة، لعلي بن نايف الشحود.

الصحيح المسند من أسباب النزول، لِمُقْبَلُ بْنُ هَادِي بْنِ مُقْبَلٍ بْنِ قَائِلَةَ الْهَمْدَانِي الْوَادِعِيِّ.  
العجاب في بيان الأسباب، للحافظ ابن حجر العسقلاني.

القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.  
المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.  
المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، للدكتور محمد بن عبد الرحمن

المغراوي.

أنوار الهالين في التعقبات على الجلالين، للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس .  
ترجمة الدكتور محمد علي الصابوني من موقع «المكتبة الشاملة».

(١) بالإضافة إلى كثير من كتب التفسير، وكتب السنة وشروحا، وكتب التخریج لا سيما كتب العلامة الألباني وغيره، وكتب العقيدة والفتاوى.

تفسير الخازن والإسرائيليات، للدكتور عيادة الكبيسي .  
 حياة الرازي ومنهج تفسيره، حسين بركة الشامي .  
 رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في التفاسير المطبوعة، جمع وتعليق: بشير جواد القيسي .  
 صفحة الشيخ محمد علي الصابوني على الفيس بوك .  
<https://www.facebook.com/m.a.alsabouni>  
 لسان العرب، لابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي .  
 مباحث في علوم القرآن، لمانع القطان .  
 مجموع فتاوى ورسائل محمد بن صالح العثيمين .  
 مذكرة أصول الفقه، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي .  
 معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل .  
 مناهج المفسرين، للدكتور منيع بن عبد الحليم محمود .  
 منهج الألوسي من خلال تفسيره «وح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»،  
 للدكتور عبد المجيد معلومي .  
 موقع الإسلام، سؤال وجواب، بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد .  
 موقع الشبكة الإسلامية، بإشراف الدكتور عبد الله الفقيه .  
 ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، محمد علي الصابوني .

